ستيفن كينغ

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

الهاتف الجوال

رواية

النبضة

١

بدأت الظاهرة التى ستعرف فيما بعد باسم النبضة فى الساعة الثالثة والدقيقة الثالثة من بعد ظهر الأول من أكتوبر حسب توقيت الساحل الشرقى . كان هناك خطأ بالطبع فى هذه التسمية . إلا أنه فى غضون عشر ساعات بعد ذلك الحادث كان معظم العلماء القادرين على تبين هذه الظاهرة إما قتلى أو مجانين . وعلى أية حال فلم تكن هناك أية أهمية للاسم وقتذاك . فما كان مهما هو تأثير تلك الظاهرة .

فى تمام الثالثة من ذلك اليوم . كان هناك شاب بلا أهمية تذكر فى مسار التاريخ - يسير وهو يكاد يطير فرحا عبر شارع بوليستون فى بوسطن - اسمه كلايتون ريدل . ارتسم على محياه تعبير رضا تام يتناسب مع خطواته المختالة هذه . فى يسراه حقيبة رسام ، من النوع الذى يمكن أن يتحول إلى حقيبة سفر . أما يمناه فحملت حقيبة تسوق بلاستيكية بنية اللون . مطبوع عليها اسم المتجر " كنوز صغيرة " لمن قد يهمه أن يقرأه .

بداخل الحقيبة البلاستيكية التى كانت تتمايل هى الأخرى شيء مستدير صغير . لقد خمنتم الآن أنها هدية . وأنتم مصيبون فى ذلك . بل قد يذهب بكم التخمين لدرجة القول بأن كلايتون ريدل هذا ليس سوى شاب يود أن يحتفل بنصر صغير (أو ربما لم يكن صغيراً إلى هذا الحد) حققه بهدية ابتاعها . والتى ربما تكون كنزا صغيراً حقاً ، وها أنتم على حق ثانية .

إلا أن ذلك الشيء كان ثقالة ورق من الكريستال غالى الثمن . وفى لبها سديم رمادى لزغب نبات الهندباء . لقد ابتاعها فى طريق عودته من فندق كوبلى سكوير متوجها إلى ذاك الفندق المتواضع الذى يقيم فيه بشارع أطلانطيك ، وهو متهيب من بطاقة السعر المدون عليها رقم التسعين دولارًا ، وربما كان أكثر تخوفاً بسبب تبينه أنه قد أصبح الآن قادراً على شراء مثل هذه الأشياء .

تطلب الأمر منه شجاعة كبيرة قبل أن يقتنع بأن يسلم بطاقته الائتمانية للبائع . لم يكن متيقنا من أنه كان سيفعل لو أن ثقالة الورق هذه كانت له هو ؛ وقتها كان سيتمتم للبائع بأنه قد غير رأيه . وينسل سريعا خارج المحل بعدما عرف سعرها . إلا أنها كانت لـ " شارون " . وشارون تحب مثل هذه الأشياء . كما أنها تحبه . لقد قالت له قبيل أن يغادر إلى بوسطن : " سأتشوق إليك . يا حبيبى " . كم كان هذا جميلا . وكم أثرت فيه هذه العبارة الرقيقة . خاصة بعد كل ذلك الهراء الذى دار بينهما العام الماضى . وهو يريد الآن أن يداعب مشاعرها بهذه الهدية . لو كان هذا لايزال ممكنا . كانت ثقالة الورق هدية صغيرة (كنزاً صغيراً) ، إلا أنه كان متيقنا من أنها ستحب ذلك السديم الرمادى فى منتصفها . وكأنه ضباب مأسور داخل الكريستال .

٢

لفتت أجراس عربة الآيس كريم انتباه كلاى . كانت تقف فى الجهة المقابلة لفندق الفور سيزونز ، والذى كان أضخم بكثير من فندق كوبلى سكوير ، وإلى جوار ساحة بوسطن العمومية . والتى تمتد بطول بوليستون لبنايتين أو ثلاث من

هذا الجانب من الشارع . كانت عبارة مستر سوفتى مطبوعة فوق ألوان قوس قزح التى تحيط بزوج من مخروطى الآيس كريم . تجمع ثلاثة صبية عند نافذة العربة . وحقائب المدرسة عند أقدامهم ، منتظرين الآيس كريم . وخلفهم وقفت سيدة ترتدى بذلة وفى يدها سير جلدى ينتهى عند رقبة كلب من فصيلة البودل . ومعها بنتان مراهقتان ترتديان الجينز خفيض الوسط وسماعات الآى بود تنسدل حول عنق كل منهما حتى يستمعا ويغنيا معا بكلمات الأغنية التى تصدح من الجهاز بكل جدية .

وقف كلاى خلفهم . ليصنع من الكل طابورا قصيرا أمام العربة . لقد ابتاع لزوجته هدية ؛ وسوف يمر على محل كوميكس سوبريم ليبتاع لولده العدد الجديد من مجلة الرجل العنكبوت ؛ وما المانع من أن يكافئ نفسه هو الآخر . لقد كان متحرقا لأن يخبر شارون بالخبر السعيد ، إلا أنه لن يتمكن من ذلك حتى يعود إلى المنزل . بحلول الرابعة إلا الربع أو قرابة ذلك . رأى أن يبقى فى الفندق حتى يتحدث معها على الأقل ، يقطع أرجاء الغرفة جيئة وذهابا ، ونظراته لا ترتفع عن حقيبة الرسم . لكنه الآن مشتت الذهن بسبب ذلك الآيس كريم .

قدم البائع للصبية الثلاثة الآيس كريم . وإن كان حجم أحدها يدل على أن هناك من بينهم من دفع أكثر لينال ذلك المخروط الضخم الحاوى للشيكولاتة والفانيليا . وبينما كان يبحث بين جيوب سرواله الجينز الواسع عن الدولارات ، أخرجت السيدة التى يصاحبها البودل من حقيبة يدها هاتفها المحمول ـ فالسيدات من هذه النوعية لا يغادرن المنزل من دون شيئين : الهاتف المحمول وبطاقة البنك الائتمانية ـ وفتحت هاتفها المحمول . من خلفهم فى المتنزه أتى صوت كلب ينبح ورجل يصيح ، لم تبد الصيحة لكلاى صيحة عادية . ولكنه حينما التفت تجاه مصدرها لم يجد سوى بضع عربات . بينما

هناك كلب يهرول وفى فمه قطعة فريسبى . تساءل : " أليس من المفترض أن يكون مقيدا إلى سلسلته هناك ؟ " . ومن ورائه أفدنة من الخضرة المشمسة وقاع من الظلال الجذابة . بدا له مكانا مناسبا جدا لرجل نجح للتو فى بيع أولى رواياته المصورة والأجزاء التالية لها أيضا . وبمبلغ محترم من المال حتى يستريح ويأكل مخروط آيس كريم من الشيكولاتة .

حينما عاد بنظره تجاه العربة كان الصبية الثلاثة قد رحلوا . والسيدة تطلب النوع الذى تحبه من الآيس كريم ، علبة مقفلة تحوى الشيكولاتة المثلجة . كانت إحدى الفتيات خلفها تعلق هاتفها المحمول وردى اللون عند خصرها . بينما كانت السيدة قد علقته عند أذنها . رأى كلاى كما يخطر له دوما حينما يرى تنويعات من هذا السلوك أنه يشاهد منظرا كان يعتبر فى يوم من الأيام جرأة لاحد لها . أما الآن فقد أصبح جزءا من السلوكيات اليومية .

كانت شارون تقول له دوما بأن عليه أن يمتلك واحدا منها . كانت تقولها بنبرة اعتاد أن يسمعها منها كثيرا . كان هذا يليق بشارون التى يعرفها ، سواء انفصلا أم لم ينفصلا . على أنه لم يكن يسمعها منها عبر هاتف محمول . فهو لا يمتلك واحدا .

كانت النغمة التى بدأت تصدر من ذلك الهاتف وردى اللون تخص بدايات إحدى أغنيات فرقة Crazy Frog التى يحبها " جونى " . هل كان اسمها " Axel F " ؟ لم يسع كلاى أن يتذكر ، ربما لأنه قد طرد الفكرة من ذهنه سريعا . سرعان ما التقطت الفتاة الهاتف وهى تقول : " بيث ؟ " . انصتت للطرف الآخر ، قبل أن تبتسم وهى تقول لرفيقتها ، " إنه بيث " . عندها اقتربت منها الفتاة الأخرى ليستمعا معا ، لاحظ أن لكلتيهما تصفيفة الشعر غريبة الأطوار ذاتها . (بدا لكلاى

أنهما أشبه بشخصيات الكرتون التى يشاهدها أيام الأحد . أقرب إلى شخصيات حلقات " فتيات جاسوسات " ربما) .

قالت السيدة ذات البذلة فى ذات اللحظة : " مادى ؟ " . كان كلبها يقبع فوق سيره الجلدى . وكان السير أحمر اللون مع لمعان يتناثر فوقه متأملا السيارات المارة فى شارع بوليستون . وعبر الشارع . عند الفور سيزونز . وقف حارس الفندق ذو الزى البنى - دوما ما يكون بنيا أو أزرق - يلوح بيده . ربما مستدعيا سيارة أجرة . ومرت بالشارع حافلة ضخمة تقل سائحين ، بدت غريبة عن المكان بكل حجمها هذا . بينما السائق يصيح عبر مكبر الصوت وهو يشرح فيما يبدو ملمحا تاريخيا ما . كانت الفتاتان المنصتتان إلى الهاتف تبتسمان إلى بعضهما البعض بسبب شيء سمعتاه . إلا أن ذلك لم يبلغ حد الضحك بعد .

" مادى ؟ هل تسمعنى ؟ هل . . . . . "

جذبت السيدة مقبض سير الكلب الجلدى لأعلى حتى تضع إصبعا من أصابعها طويلة الأظفار داخل أذنها الأخرى حتى تستطيع سماع الصوت الصادر من الهاتف على الأذن الأخرى . أجفل كلاى خوفا على طبلة أذنها من هذا الظفر . تخيل نفسه يرسمها : الكلب فى هذا القيد ، وحلتها الغريبة هذه ، وشعرها القصير . . . بينما خضب الدم إصبعها داخل أذنها . كانت حافلة السائحين تخرج للتو من كادر المشهد الذى يراه وحارس الفندق لايزال فى خلفيته . إنها تلك العناصر الصغيرة التى تضفى على أى رسم حيويته . فهى أشياء تألفها العين .

" مادى . الصوت متقطع ! كنت أريد أن أقول لك بأنى قد قصصت للتو شعرى على غرار الموضة الـ . . . . . شعرى ؟ . . . شعـ . . . "

www.rewity.com ^RAYAHEENA^

قدم لها البائع الواقف داخل عربته علبة الآيس كريم التى كان يتبدى منها جبل صغير من الشيكولاتة وسائل الفراولة على سفحه . لم يبد على وجهه غير الحليق أى تعبير . كأنما اعتاد أن يقابل مثل هذه الشخصيات كل يوم . وكان كلاى متيقنا من أنه هو الآخر لا يجد فى كل هذا شيئا جديدا . كان بالمتنزه شخص يصرخ . فالتفت كلاى مجددا . وقد خطر له أنها ليست بصرخة بهجة على الإطلاق . إلا أنه فى ظهيرة مشمسة كهذه . وفى تمام الثالثة ، وداخل المتنزه العمومى لبوسطن ، فلابد أن يكون منبع أية صرخة هى البهجة وليس غير ذلك .

تمتمت السيدة بكلمات غير مفهومة لمادى عبر الهاتف ، قبل أن تغلق غطاءه بحركة متمرسة من رسغها . أعادته إلى حقيبة يدها ، ثم اكتفت بالوقوف فى مكانها ، كما لو أنها نسيت كل شيء كانت تفعله قبل المكالمة . أو حتى المكان الذى تقف فيه .

قال لها البائع وهو لايزال يمسك فى صبر علبة الآيس كريم : " أربعة دولارات ونصف " . خطر لكلاى أن كل شيء قد صار غالى الثمن فى المدينة . وربما كان هذا هو نفس ما خطر للسيدة أيضاً . أو هكذا خمن فى البداية فقد وقفت للحظات من دون أن تحرك ساكناً ، مكتفية بالتحديق فى العلبة كما لو أنها لم تر شيئاً مثل هذا من قبل .

بعدها أتت صرخة أخرى من ناحية المتنزه ، لم تكن صرخة بشرية هذه المرة ، بل كانت شيئا يتراوح بين العواء المندهش والعويل المتألم . ومن جديد التفت كلاى ليشاهد الكلب الذى كان يهرول بقطعة الفريسبى . كان كلبا بنيا كبير الحجم ، من النوع الذى يحتاج عند رسمه إلى نسخة من كتاب خاص . بينما وقف رجل يرتدى حلة رسمية يجثو على ركبتيه إلى جواره وهو يقبض على رقبة الكلب بقوة . وبدا ـ وهو ما أدهش كلاى ودفعه

إلى الاعتقاد بأنه يحلم ـ كأنه يحاول قضم أذنه . عوى الكلب من جديد وهو يحاول أن يتملص من قبضة الرجل . لم تفلت قبضتا الرجل رقبة الكلب . ورأى كلاى أذن الكلب وقد صارت بين أسنان الرجل . ورآه وهو ينتزعها بأسنانه انتزاعا . هذه المرة جاءت صرخة الكلب أقرب إلى صرخة بشرية . ومعها طار عدد من بط البركة الصغيرة فزعا .

صاح أحدهم من خلف كلاى صيحة جمعت بين الدهشة والغضب والامتعاض .

عاد ليستدير ناحية عربة الآيس كريم ليجد السيدة وهى تحاول بكل قوتها أن تجذب البائع إلى خارج عربته عبر النافذة . نجحت فى أن تتشبث بحلته البيضاء . إلا أن تراجعه المدهش إلى الوراء كان كافيا لأن يفلت بنفسه من قبضتها . علا كعبا حذائها عن الرصيف لثوان . وسمع احتكاك ملابسها وأزرار سترتها مع بروز النافذة . بينما سقطت علبة الآيس كريم . رأى كلاى مسحات منه على رسغ وساعد السيدة الأيسر بينما عاد كعبا حذائها إلى الرصيف ثانية . تمايل جسدها مع انثناء ركبتيها . كانت تعبيرات وجهها الجادة غير المبالية التى رآها عليها فى البداية قد تحولت الآن إلى تشنجات وزمجرة اتسعت لها عيناها بشدة وانفتح لها فمها مظهراً كامل أسنانه . كانت شفتها العليا قد انقلبت بالكامل ، لتكشف عن لون جلدها الداخلى الوردى الداكن . كان كلبها البودل قد هرب إلى الشارع ، وهو يطارد سير طوقه الأحمر ذا المقبض . فمرقت سيارة ليموزين سوداء لتدهمه حتى من قبل أن يصل إلى منتصف الشارع . لتحوله إلى كومة من دون حراك وقد تبدت أحشاؤها .

لابد أن البودل المسكين قد مات قبل أن يدرك حتى أنه قد مات . هكذا خطر لكلاى . أدرك أنه واقع فى حالة صدمة . إلا أن هذا لم يغير من قدر عجبه من كل ما يجرى . فقد وقف فى

مكانه وحقيبته فى يد وهديته فى اليد الأخرى وقد فغر فاه عن آخره .

حينها سمع صوت انفجار بدا أنه صادر من بقعة ما عند ناصية شارع نيوبيرى .

كان للفتاتين نفس قصة الشعر . إلا أن الفتاة ذات الهاتف الوردى كانت شقراء أما صديقتها فسمراء الشعر ؛ هما أشبه ذلك بشخصيتى بيكسى . بيكسى شقراء وبيكسى سمراء . سقط هاتف بيكسى الشقراء على الرصيف . ليتحطم . كانت قد تركته لتندفع نحو السيدة ذات البذلة . وتحيط خصرها بذراعيها فى قوة . اعتقد كلاى (هذا إن كانت لا تزال لديه القدرة على الاعتقاد فى تلك اللحظات) أنها كانت تريد منع السيدة ذات البذلة إما من مهاجمة بائع الآيس كريم . أو من الركض عبر الشارع نحو كلبها الصريع . بل إنه وجد نفسه يعجب بحضور ذهن تلك الفتاة . أما صديقتها بيكسى السمراء فكانت تتراجع مبتعدة عن كل ما يجرى أمامها . ويداها الصغيرتان مقبوضتان نحو صدرها . وعيناها متسعتان رعبا .

أسقط كلاى ما فى يديه . واتجه ليساعد بيكسى الشقراء . حين خيل إليه أن على الجانب الآخر من الشارع سيارة تنقلب لتستقر على الرصيف أمام فندق الفور سيزونز . مما حدا بحارس الفندق إلى أن يهرب بحياته من أمام الفندق . بينما تعالت الصرخات من بهو الفندق . وقبل أن يهم كلاى بمعاونة بيكسى الشقراء . كانت هى قد قربت رأسها فى سرعة ثعبان نحو وجه تلك السيدة . وفغرت فمها ليكشف عن أسنانها الشابة القوية . وسرعان ما غرستها فى رقبة المرأة . لتنبثق منه نافورة من الدم فى لحظة . وجد أن الفتاة تثبت رأسها أمام هذه الدماء التى غمرتها وكأنها تستحم بها . بل وربما شربت منها أيضاً (بل هو متأكد من ذلك) . ثم أخذت تهز جسد المرأة

وكأنها دمية . لقد كانت تلك المرأة أطول منها . ويزيد وزنها على وزن الفتاة بأربعين رطلاً على الأقل . إلا أن الفتاة كانت تتلاعب بجسدها لدرجة أن رأس المرأة كان يترنح فى جميع الاتجاهات ليزيد كم الدم المندفع من جسدها . بينما رفعت الفتاة رأسها المخضب بالدماء نحو سماء أكتوبر الزرقاء وهى تصدر صوتاً أقرب إلى عواء ذئب منتصر .

حدث كلاى نفسه : لقد جنت . . . جنت تماماً .

صرخت بيكسى السمراء : " من أنت ؟ ما الذى يحدث ؟ "

عند سماعها لصوت صديقتها . أخذت بيكسى الشقراء تهز رأسها المخضب بالدماء فى قوة . لتتناثر عنه قطرات الدم من فوق خصلات الشعر القصيرة الحادة فوق جبهتها . كانت عيناها أشبه بمصباحين يحدقان من مقلتين دمويتين .

نظرت بيكسى السمراء إلى كلاى بعينين متسعتين وهى تكرر : " من أنت ؟ " . ثم قالت : " من أنا ؟ " .

أسقطت بيكسى الشقراء المرأة . والتى انهارت على الرصيف صريعة . والدم لا يزال ينزف بغزارة من شريان رقبتها . ثم قفزت نحو الفتاة التى كانت تشاركها منذ بضع دقائق فقط الاستماع إلى نفس مكالمة الهاتف فى مرح .

وجد كلاى أن لا وقت هناك للتفكير . فلو ضيع لحظات فى التفكير لربما انفجر الدم من رقبة بيكسى السمراء هى الأخرى كتلك المرأة . بل لم ينظر لها . وهو يلتقط حقيبة الهدية . ويطوح بها فى قوة نحو مؤخرة رأس بيكسى الشقراء وهى تهم بالإمساك بصديقتها بيديها المخلبيتين . آه لو كانت الضربة قد أخطأت هدفها . . . .

إلا أنها لم تخطئ الهدف . فقد أصابت الثقالة الكريستالية التى بداخل الحقيبة مؤخرة رأس بيكسى الشقراء مباشرة . فسمع صوت قرقعة مكتومة . وخمدت حركة ذراعيها . ذراع

مخضبة بالدماء ، والأخرى لا تزال نظيفة ، لتسقط نحو الرصيف عند قدمى صديقتها كجوال البريد .

صاح بائع الآيس كريم متسائلاً فى دهشة : " ما هذا بحق السماء ؟ " . كان صوته عاليًا بدرجة بدت غريبة . ربما كان للصدمة دورها فى حدة الصوت هذه .

قال كلاى وقلبه ينبض بقوة : " هذا ما لا أدريه . هلم ، ساعدنى بسرعة . فهذه تنزف بشدة " .

من خلفهما عند شارع نيوبيرى أتى صوت اصطدام سيارة لا تخطئه أذن . تلته صرخات مروعة . تلا كل هذا صوت انفجار ، وكان هذا الانفجار أكبر من سابقه . رج المكان بأسره . ومن خلف عربة الآيس كريم شاهدا سيارة وهى تندفع بأقصى سرعة عبر الحارات الثلاث للطريق نحو باحة الفندق ، لتدهم اثنين من المشاة . ومن ثم ترتطم بشدة بمؤخرة السيارة السابقة ، والتى كانت قد استقرت عند بوابات الفندق فحطمتها . لم يستطع كلاى من مكانه أن يتبين ما إذا كان هناك من لا يزال حياً يمكن إنقاذه . فقد كان الدخان يتصاعد بكثافة من محرك السيارة الأولى إلا أنه علم من الصرخات المعذبة التى انبعثت من هناك أن الأمر على أسوأ ما يكون .

مال بائع الآيس كريم الذى لم يمكنه أن يرى شيئاً من موضعه من نافذة العربة نحو كلاى وهو يقول : " ما الذى يجرى هناك ؟ "

" لا أدرى . إنه حادث لسيارتين . وهناك من أصيب . دعك من هذا . تعال لتساعدنى هنا " . انحنى نحو السيدة ذات البذلة التى سقطت وسط الدماء وهاتف بيكسى وردى اللون المحطم . كانت اختلاجات جسدها قد خفتت إلى أدنى حد .

قال بائع الآيس كريم وهو لا يزال غير قادر على مبارحة عربته التى بدت له حصناً أميناً من كل هذا : " هناك دخان

كثيف بشارع نيوبيرى . . . هناك شيء ما انفجر . شيء ضخم . ربما كان هذا عملاً إرهابياً " .

تنبه كلاى إلى وجاهة هذا الافتراض بمجرد أن نطق به الرجل . إلا أنه ناداه بإصرار : " تعال ساعدنى " .

صرخت بيكسى السمراء فجأة : " من أنا ؟ " .

كان كلاى قد نسيها تماماً . تطلع إليها فى نفس الوقت الذى كانت تلطم فيه جبهتها برسغها ، ثم تلف حول نفسها بسرعة ثلاث مرات . وهى تكاد تقف على سن حذائها الرياضى أثناء ذلك . حينها تذكر قصيدة كان قد قرأها أيام الكلية " اصنع دائرة من حوله ثلاث مرات " . كانت كلمات كولريدج . أليس كذلك ؟ تمايلت ، ثم اندفعت تركض عبر الرصيف وبأقصى سرعة صوب عمود إنارة . لم تحاول أن تتفاداه ، أو أن تمد يدها لتحمى جسدها . فقد ارتطم وجهها به بشدة . وتمايل جسدها . قبل أن ترتطم بوجهها فيه من جديد .

صاح كلاى مزمجراً : " توقفى عن هذا ! " . نهض واقفاً ، وأسرع نحوها ، وكاد يسقط بعد أن انزلق فوق دم المرأة . وما إن استعاد توازنه فى سرعة . حتى كاد يسقط مرة أخرى متعثراً فى جسد بيكسى الشقراء .

التفتت بيكسى السمراء نحوه . كان أنفها محطماً والدماء تنزف منه على وجهها . وظهرت على جبينها كدمة ، بارزة بادية للعيان . وإحدى عينيها قد اعوجت داخل محجرها . فغرت فاها لتكشف عن بقايا ما كانت تعد أسناناً جميلة ، كانت تضحك له . أما هو فلن ينسى هذا المنظر بقية حياته .

بعدها اندفعت تركض على الرصيف وهى تصرخ .

سمع من خلفه صوت محرك عربة الآيس كريم وهو يدور لتنطلق معه نغمة موسيقى شارع سمسم المميزة . التفت نحوها كلاى ليراها وهى تتخذ طريقها فى سرعة نحو الشارع . فى

www.rewity.com ARAYAHEEN

ذات اللحظة التى تهشمت فيها نافذة بالطابق العلوى فى الفندق . لتهطل الشظايا البلورية نحو الشارع . من ورائها هوى جسد وسط شمس النهار ليرتطم بالرصيف فى صوت ممجوج . ولتتعالى الصرخات أكثر من باحة الفندق . صرخات رعب ؛ صرخات ألم .

صرخ كلاى بكل قوة وهو يركض إلى جوار عربة الآيس كريم : " كلا ! كلا . عليك أن تعود لتساعدني! إنى بحاجة إلى من يساعدنى هنا . أيها الوغد ! " .

لم يعره البائع اهتماما . بل قد لا يكون سمعه من الأصل وسط موسيقى العربة . عندها تذكر كلاى كلمات تعود إلى وقت يكاد فيه أن يؤمن بأن زواجه لن يدوم للأبد . ففى تلك الأيام كان جونى يشاهد " شارع سمسم " كل يوم . وهو جالس فى كرسيه الأزرق الصغير ممسكا بكوبه . يستمع إلى أغنية تقول شيئا عن يوم مشمس ليس فيه سحاب .

أتى رجل يرتدى بزة راكضا من داخل المتنزه ، وهو يزأر بأصوات غير مفهومة بكل ما فيه من قوة . كان ذيل سترته يتطاير من خلفه . تعرف عليه كلاى من ذقنه الرفيع . هرع الرجل نحو شارع بوليستون . والسيارات تمرق من حوله . وتتفاداه بالكاد . وصل إلى الجهة الأخرى منه ، وهو لا يزال يزأر مشوحا بذراعيه نحو السماء . سرعان ما اختفى فى الظلال عند باحة الفندق وغاب عن نظره . ولكن ما إن تعالت الصرخات من حيث غاب الرجل حتى أدرك كلاى أن الرجل قد صار فى خبر كان .

يئس كلاى من مطاردته لعربة الآيس كريم . ووقف مستندا بإحدى قدميه على الرصيف بينما الأخرى على بالوعة الصرف . يراقب العربة وهى تنسل عبر الحارة الوسطى من شارع بوليستون . والموسيقى لا تزال تصدح منها . هم بأن يعود

إلى الفتاة الغائبة عن الوعى والمرأة المحتضرة حينما طلت حافلة أخرى . ولكنها لم تكن تسير الهوينى هذه المرة . بل تندفع بأقصى سرعتها وهى تتمايل . بينما ركابها يتمايلون فى قوة وهم يصرخون بل يتوسلون إلى السائق أن يقف . بينما هناك من اكتفى بأن يتمسك بالدعامة المعدنية لجانبى الحافلة وهى تندفع فى الاتجاه المعاكس عبر شارع بوليستون .

أمسك رجل ذو قميص قطنى بالسائق من الخلف ، وسمع كلاى صرخات غير مفهومة تنبعث عبر مكبر صوت الحافلة القديم . والسائق يبعد عنه الرجل بهزة قوية جدا من كتفيه . بعدها شاهد سائق الحافلة عربة الآيس كريم . ويكاد كلاى يقسم أنه متيقن من أن السائق قد حول وجهة الحافلة قاصدا هذه العربة بالذات .

صاحت سيدة تجلس بالقرب من مقدمة الحافلة التى تقل السائحين : " أوه . . . يا إلهى . . . كلا أرجوك " ، وبينما تقترب الحافلة من عربة الأيس كريم . والتى لا يصل حجمها إلى سدس حجم الحافلة ، حتى تذكر كلاى مشهد استعراض النصر الذى تابعه عبر التلفاز لفريق ريد سوكس بعدما فازوا ببطولة الدورى . كان الفريق كله يستقل حافلة من هذا النوع . وكانت الحافلة تسير ببطء شديد متعمد . بينما أفراد الفريق يلوحون للجمهور المهلل وسط جو الخريف البارد .

صرخت نفس السيدة ثانية : " أوه . . . كلا . . يا إلهى ! " . بينما علق رجل كان يقف إلى جوار كلاى بصوت خفيض : " يا الله " .

ارتطمت الحافلة بعربة الآيس كريم لتنقلب العربة وكأنها لعبة طفل . حطت على جانبها والموسيقى لا تزال تصدح منها . وانزلقت نحو المساحة الرئيسية ، لتندلع شرارات نتيجة الاحتكاك . وأفلتت سيدتان من الموت بأعجوبة . ارتطمت العربة

بالرصيف لتطير لأعلى قبل أن تهبط على السور الحديدى المحيط بالمتنزه وتستقر هناك . تردد صوت الموسيقى المنبعث منها قبل أن يصمت للأبد .

أما المجنون الذى يقود الحافلة ففقد أى تحكم فيها . وأخذت تتمايل عبر شارع بوليستون بمن على متنها من ركاب يصرخون فى رعب وهم يتشبثون بالدعامة المحيطة بجوانب الحافلة المكشوفة . واعتلت الرصيف على بعد خمسين قدما من عربة الآيس كريم . وارتطمت بجدار حجرى أسفل واجهة عرض لمحل أثاث اسمه أضواء المدينة . سُمع صوت ارتطام والواجهة الزجاجية تتهشم . ارتفعت مؤخرة الحافلة العريضة قرابة خمس أقدام عن الأرض فى الهواء . كان الزخم يكاد يجبر هذه الحافلة المتهادية على أن تدور حول نفسها فى الهواء؛ إلا أنها استقرت على الرصيف ومقدمتها داخل المحل بين الأرائك ومقاعد حجرة المعيشة الغالية . ولكن ليس قبل أن يتطاير أكثر من عشرة من ركابها فى الهواء ويسقطون بعيدا عن الأنظار .

من داخل المحل اندلعت أصوات صافرات الإنذار .

" يا الله " كان هو نفس الصوت من جوار كلاى ثانية . التفت نحوه ليرى رجلا قصيرا ذا شعر داكن خفيف . وشارب خفيف أيضا . يرتدى نظارة ذهبية الإطار : " ما الذى يحدث ؟ "

رد كلاى وهو يشعر بصعوبة فى الكلام : " لا أدرى " . بل لقد وجد مشقة فى النطق بهذه العبارة . لقد ظن أنها صدمة . فالناس يفرون عبر الشارع . بعضهم من الفندق . والبعض من الحافلة المهشمة . وبينما هو يراقبهم رأى أحد الفارين من الحافلة وهو يصطدم بآخر فر من الفندق ليسقطا معا على الرصيف . خيل إليه أنه قد جن . وأن خياله المهلوس يرسم له كل هذا وسط جنون من نوع ما . " لقد ذكر بائع الآيس كريم شيئا عن عمل إرهابى " .

فرد الرجل القصير ذو الشارب : " لا أرى أحداً مسلحاً هنا . كما لا أرى أحداً يلف وسطه بالقنابل " .

كذلك لم ير كلاى شيئاً من هذا . إلا أن كل ما لفت انتباهه هذه اللحظة هو حقيبة هديته (الكنوز الصغيرة) . وحقيبة رسوماته القابعتين على الرصيف . وقد رأى الدم النازف من رقبة السيدة ويا له من كم من الدماء وهو يكاد يصل إلى حقيبة الرسومات . فبها كل رسوماته ما عدا قليل مما رسمه لقصته ... " المغامر الغامض " ... . والرسومات هى كل ما يشغل باله فى هذه اللحظة . فاندفع نحوها بخطوات واسعة . ولاحقه الرجل القصير . والذى قفز فزعا حينما انطلقت صافرات إنذار من داخل الفندق . لتتنافس بأصواتها صافرات إنذار محل الأثاث .

قال كلاى : " إنه الفندق " .

" أعلم هذا . ولكن ... أوه ... يا إلهى " . لقد رأى السيدة الصريعة . التى ترقد الآن وسط بحيرة من الدماء - من يمكنه أن يصدق أنها كانت مفعمة بالحياة منذ أربع دقائق أو أقل ؟

" لقد ماتت . أنا متيقن من هذا على الأقل . تلك الفتاة هى التى فعلتها . بأسنانها فقط " كان يشير تجاه بيكسى الشقراء .

" أنت تمزح بالتأكيد " .

" ليتنى كنت بالفعل أمزح " .

ضج المكان بغتة بصوت انفجار آخر فى شارع بوليستون . فجفل الرجلان . أدرك كلاى أنه يشم الآن رائحة دخان . فالتقط حقيبتيه المكتوب عليهما الكنوز الصغيرة مباعدا بينهما وبين الدماء . قال وهو يتعجب من حاجته إلى أن يشرح الأمر " هاتان لى " .

ظل القصير . الذى كان يرتدى بزة رأى كلاى أنها أنيقة . يحدق فى ارتياع إلى جثة المرأة التى فكرت فى تناول الآيس

كريم ففقدت كلبها ومن بعده حياتها . اقترب من خلفهما ثلاثة شبان يمشون على الرصيف وسط ضحكاتهم وعبثهم . كان اثنان منهم يرتديان قبعة فريق ريد سوكس وقد قلباها بشكل معكوس . والثالث يحمل صندوقا كرتونيا إلى صدره مطبوعا عليه شعار شركة باناسونيك بالأزرق . داس أحدهما بحذائه الرياضى على دماء المرأة الصريعة مخلفاً أثر حذائه وهو يندفع هو ورفيقاه نحو الجانب الشرقى من الساحة العمومية ومن بعدها الحى الصينى .

٣

جثا كلاى على ركبته . واستخدم يده التى لا تحمل حقيبة الرسومات وقد صار أشد خوفاً عليها بعد أن رأى ذلك الفتى الهارب بصندوق باناسونيك لكى يلتقط رسغ بيكسى الشقراء . وجد بها نبضا . كان النبض ضعيفا لكنه منتظم . شعر بارتياح كبير . فمهما كان ما فعلته . إلا أنها صبية صغيرة فى نهاية الأمر . كما أنه لا يريد أن يلوم نفسه بقتله إياها بالهدية التى اشتراها لزوجته .

صاح فيه الرجل ذو الشارب : " احترس ، احترس ! " . لم يجد كلاى الفرصة لينتبه . ولحسن حظه أن السيارة الفارهة التى انحرفت من شارع بوليستون نحو المتنزه قد أخطأته بمسافة عشرين ياردة فقط عن النقطة التى كان يجثو عندها . واحتكت بالسور الحديدى قبل أن تستقر بمقدمتها فى بركة البط .

انفتح بابها وترجل منها شاب وهو يتخبط من أثر الاصطدام . وكان يسب ويلعن . جثا بركبتيه فى الماء . وأخذ ينهل منه نحو فمه بكلتا يديه . لا يدرى كلاى لماذا تذكر

حينها كم الفضلات التى تركها البط فى هذه البركة عبر السنين ؛ ثم وقف على ساقيه مرة أخرى . وبعدها أخذ يخوض فى المياه حتى الجانب الآخر . وسرعان ما توارى عن الأنظار وسط الأشجار . وهو لا يزال يلوح بيديه سابا بكلمات غير مفهومة .

قال كلاى للرجل ذى الشارب : " نحتاج إلى أن نسعف هذه الفتاة . إنها فاقدة الوعى ولكنها لن تموت " .

رد الرجل : " بل ما نحتاج إليه هو أن نبتعد من هنا قبل أن تدهمنا إحدى السيارات " . وما إن انتهى من كلامه حتى اصطدمت سيارة أجرة بسيارة ليموزين فى نقطة ليست ببعيدة عن حافلة السياح المحطمة . كانت الليموزين تسير فى الاتجاه المعاكس . وكان اصطدام سيارة الأجرة بها مروعا . فطار السائق عبر الزجاج الأمامى الذى تهشم ليرتطم بأسفلت الشارع . ممسكا بذراعه الدامية وهو يصرخ .

لقد كان الرجل ذو الشارب محقا بالفعل . فالتفكير العقلانى الذى لم يستطع كلاى سوى القيام بالقليل منه وسط كل هذه الصدمات التى ألجمت تفكيره يحتم أن أنسب تصرف هو الفرار من هذا الشارع . والاختباء فى مكان آمن . فإذا كان ذلك عملا إرهابيا . فإنه لم يشهد مثله من قبل ولم يسمع عن مثله من قبل . فما يجب عليه ـ عليهم ـ فعله هو أن ينبطحا حتى يستقر الأمر . وربما يتحتم عليهم العثور على مكان آمن . ولكنه لم يرغب فى ترك الفتاة مسجاة فاقدة الوعى فى منتصف شارع أصبح فجأة يسوده الجنون . كل غريزة عطف بداخله ـ وبالطبع كل غريزة للتحضر ـ كانت تأبى أن يترك الفتاة على هذا النحو .

قال للرجل ذى الشارب بتردد ملحوظ : " اذهب أنت " . فهو لا يعرف هذا الرجل القصير . إلا أنه على الأقل وجده لا يتلفظ بهلاوس مشوحا بيديه فى جنون مثلما يفعل الباقون . كما

www.rewity.com
^RAYAHEENA^

أنه لم يهجم بعد عليه قاصداً أن يغرس أسنانه فى رقبته .

" ادخل إلى أى مكان آمن . وسوف . . . " لم يجد كلمات مناسبة ينهى بها عبارته .

سأله ذو الشارب : " سوف ماذا ؟ " . ولكنه سرعان ما جفل ثانية مع صوت انفجار جديد . أتى هذه المرة من خلف الفندق مباشرة . أو هكذا خيل إليه . وارتفعت سحابة دخان سوداء . ملطخة زرقة السماء قبل أن تأخذها الرياح بعيداً .

قال كلاى فى إصرار : " سأستدعى شرطيا . . . إن بجعبتها هاتفا محمولا " . أشار إلى المرأة الغارقة فى دمائها متابعا : " لقد كانت تستخدمه . . . قبل أن يحدث كل . . . " .

أخذ يروى للرجل كل ما حدث قبيل أن يصيب الجنون المكان كله . وجد أن عينيه تترددان بين المرأة الصريعة والفتاة فاقدة الوعى . ومن ثم تعود إلى حطام هاتف الفتاة المحمول .

ارتفعت أصوات أبواق الإنذار بعربتين مختلفتين . خمن كلاى أن أحدهما لسيارة شرطة . والآخر لعربة إطفاء . من المكن التيقن من الفارق لمن كان يعيش بهذه المدينة . إلا أنه لم يكن قاطنا بها . فهو يعيش فى كينت بوند بماين . وكم تمنى فى هذه اللحظات لو أنه كان هناك الآن .

ما حدث قبل كل هذا الجنون هو أن تلك المرأة كانت تتصل بصديقتها مادى لتخبرها بأنها قد صففت شعرها بشكل جيد . وأن أحد أصدقاء بيكسى الشقراء قد اتصل بها . وأن بيكسى السمراء قد استمعت إلى تلك المكالمة . وبعدها أصيب الثلاثة بالجنون .

فهل تظن أن . . . . .

إلى الشرق . ومن خلفهما . أتاهما أضخم انفجار حدث حتى الآن : انفجار صم الآذان . قفز كلاى من فوره منتصبا . تبادل مع الرجل نظرة كلها غرابة . ثم التفتا تجاه الحى الصينى

والحى الشمالى من بوسطن . لم يستطيعا أن يتبينا كنه هذا الانفجار . إلا أن غمامة ضخمة من الدخان الأسود كانت ترتفع فوق المبانى عند الأفق .

بينما كانا يحدقان فيها . توقفت سيارة شرطة وعربة إطفاء أمام فندق الفور سيزونز عبر الشارع . رمق كلاى الفندق ليرى فى ذات اللحظة أحدهم وقد ألقى بنفسه من الطابق الأخير بالفندق . وتبعه اثنان قفزا من فوق سطح الفندق . بدا لكلاى أنهما يتعاركان وهما يهويان تجاه الأرض .

صرخت امرأة بصوت متهدج : " يا إلهى . . . يا إلهى . . . كلا ! . . . ليس ثانية . . . ليس ثانية ! " .

هوى أول الانتحاريين الثلاثة فوق مؤخرة سيارة الشرطة . ليلطخها ببقاياه . محطما النافذة الخلفية . بينما ارتطم الاثنان الآخران بسلم عربة الإطفاء التى فر منها رجالها وكأنهم طيور فزعة .

واصلت المرأة صراخها : " كلا . . . ليس ثانية ! . . . ليس ثانية ! " .

عندها هوت امرأة من الطابق الخامس أو السادس . فى سقوط أكروباتى . لتسقط فوق أحد رجال الشرطة الذين كانوا يحدقون فى كل ما يجرى أمامهم . لتقتله كما قتلت نفسها .

من جهة الشمال أتى صوت سلسلة من الانفجارات الكبيرة وكأنما الشيطان يطلق نيرانه وسط الجحيم ليعود كلاى لينظر من جديد إلى القصير . والذى كان بدوره يتطلع إليه فى قلق . كان المزيد والمزيد من الدخان يتصاعد تجاه السماء . حتى كادت زرقتها تختفى بالرغم من الرياح .

قال القصير : " لقد عادوا لاستخدام الطائرات فى أعمال إرهابية . الأوغاد عادوا ليستخدموا الطائرات من جديد " .

لحق بكلماته صوت انفجار مروع ثالث يأتى من جهة شمال شرق المدينة . كأنما ليؤمن على كلام الرجل .

وجد كلاى صعوبة فى نطق كلماته . وصعوبة أكبر فى التفكير وهو يقول : " لكن . . . تلك المنطقة بها مطار لوجان . لم يدر بخلده عندها سوى دعابة خطرت له : هل سمعت تلك الدعابة عن الإرهابيين (ضع هنا ما تشاء من جنسيات) الذين قرروا أن يخضعوا أمريكا بأن يفجروا لها مطاراً ؟

قطع القصير عليه أفكاره وهو يتساءل : " وبعد ؟ "

" لو كان الأمر كذلك فلماذا لم يختاروا بناية هانكوك ؟ أو بناية برو ؟ "

هز القصير كتفيه قائلاً : " لا أدرى . كل ما أعلمه هو أننى أريد مغادرة هذا الشارع " .

مرق إلى جوارهما ستة من الشباب فارين . وكأنهم يؤكدون على رغبته . لاحظ كلاى أن أغلب سكان بوسطن من الشباب فيها جامعات كثيرة . كانوا ثلاثة شباب وثلاث فتيات . يهرولون هائمين على وجوههم أو هكذا بدا له وبينما كانوا يبتعدون أخرج أحدهم هاتفه المحمول وقربه إلى أذنه .

نظر كلاى عبر الشارع ليرى أن سيارة شرطة أخرى قد جاءت للتوقف خلف الأولى . لم تعد هناك حاجة إذن لاستخدام هاتف المرأة الصريعة وهو ما أراحه فقد كان يشعر برغبة فى عدم استخدامه . كل ما عليه الآن هو أن يجتاز الشارع ليتحدث معهم إلا أنه لم يكن يجد فى نفسه الجرأة على اجتياز هذا الشارع فى هذه اللحظات بالذات . وحتى لو فعل . فهل سيوافقون على المجيء إلى هنا لفحص فتاة غائبة عن الوعى تاركين كم الضحايا هناك ؟ كان يراقب المشهد أمامه ورجال الاطفاء يعودون ليلملموا معداتهم ، متهيئين للانتقال إلى مكان أخر . ربما إلى حيث مطار لوجان . أو . . . .

قال القصير فى صوت هامس محاذر : " أوه . يا إلهى . انتبه لهذا " . كان ينظر جهة الغرب عبر الشارع . حيث وسط المدينة . فى الاتجاه الذى كان كلاى قادما منه عندما كان أكبر أهدافه فى الحياة الاتصال بشارون عبر الهاتف . حتى أنه كان يحمل في عقله كيف سيبدأ مكالمته معها . كان سيقول لها : أخبار سارة يا عزيزتى - فمهما بلغت درجة ما صار بيننا . سأتمكن دائماً من شراء ما يحتاجه ابننا . وفى عقله كانت تبدو له هذه العبارة مرحة ولطيفة وقد ذكرته بالأيام الخوالى .

إلا أن ما يراه الآن لا ينم عن أية طرافة . فقد كان يتجه صوبهم بخطوات واسعة رجل فى الخمسين من عمره . يرتدى بزة وما بدا أنه بقايا قميص ورابطة عنق . كان السروال رمادياً . ولكن كان من المستحيل تبين لون القميص ورابطة العنق الأصليين . فكلاهما ممزق وملطخ بالدماء . يحمل فى يمناه ما بدا أنها سكين جزار يبلغ طول نصلها ثمانى عشرة بوصة . خطر لكلاى أنه قد رأى تلك السكين . بواجهة متجر اسمه " سول كيتشن " . فى طريق عودته من ذلك الاجتماع بفندق كوبلى سكوير . كان أمام صف السكاكين بطاقة صغيرة مكتوب عليها من الصلب السويدى ! وكانت تلمع عاكسة أنوار مصابيح خفية . إلا أنه من الواضح أن هذه السكين بالذات كانت جمة النشاط منذ أن انتزعت من مكانها فى الواجهة . . . فقد كانت ملطخة بالدماء .

كان الرجل يلوح بها وهو يقترب منهما بخطواته الواسعة . كان النصل يقطع الهواء بحركات سريعة . ولكنه غير من حركته مرة واحدة فقط . . . مصيبا فيها جسده هو . سال خيط من الدماء عبر شق جديدفى قميصه المشرذم . رفرفت بقايا رابطة العنق فى الهواء . وعندما زاد اقترابه منهما أخذ يتوعدهما بلهجة من أصابه مس من الجنون .

أخذ يصرخ فيهما بكلمات غير مفهومة على الإطلاق : " آيلاااب . . . إيبييلاه . . . ايبييلاه . . . بابلاه ! كازالااااه . . . كان فاى . . . شاى فاى ! " . أعاد السكين نحو فخذه اليمنى ومن ثم خلفها . ورأى كلاى بمخيلته التى صارت فى أوج نشاطها ما سيتبع هذا من ضربة كاسحة . ضربة فى الصميم . والرجل يواصل اقترابه بخطواته الواسعة التى تقطعها قدماه المسطحتان عبر ظهيرة أكتوبر .

صرخ القصير ذو الشارب : " احترس ! " . ولكنه نفسه لم يكن محاذراً . ذلك الرجل القصير ذو الشارب : الشخص الطبيعى الوحيد الذى تحدث إليه كلاى ريدل منذ بدأ كل هذا الجنون بل كان هو من بادره بالكلام ، وهو الأمر الذى ينم عن شجاعة وسط هذه الظروف . كان قد تجمد فى مكانه ، وعيناه متسعتان فى ذعر خلف عدستى نظارته ذات الإطار الذهبى . هل توجه المجنون صوبه لأنه اختار بينهما . ووجد أنه الأصغر والضحية الأسهل ؟ لو كان هذا هو قراره بالفعل ، فإن هذا المهلوس ليس مجنوناً تماماً . عندها انتاب كلاى شعور هو مزيج من الغضب والخوف ، غاضب بنفس القدر الذى كان سيشعر به لو أنه رأى من خلف سور هذه الحديقة مجرماً يهم بالهجوم على صبى صغير .

كان صوت القصير ذو الشارب أشبه بالعويل وهو يصرخ : " احترس ! " ، وهو متسمر فى مكانه فى انتظار الموت . الذى فر من عقاله بواجهة متجر كان اسمه " سول كيتشن " . كان بالتأكيد يقبل الدفع بالبطاقات الائتمانية .

لم يضيع كلاى وقتاً فى التفكير . فالتقط حقيبته ذات المقبض المزدوج ورفعها بين السكين المصوبة وصديقه المتأنق الجديد . اخترقت السكين الحقيبة فى سهولة . إلا أن سن السكين توقف

قبل أن يخترق بطن الرجل . عندها عاد للقصير صوابه فتنحى جانباً فى سرعة . وهو يصرخ ملء رئتيه طالباً النجدة .

توقف الرجل ذو القميص ورابطة العنق المشرذمة وهو غليظ الرأس والرقبة . بصورة تنم عن أنه قد توقف عن ممارسة الرياضة منذ عامين على الأقل ـ توقف فجأة عن هذيانه . وارتسمت على وجهه علامات الحيرة الشديدة الأقرب إلى الاندهاش والعجب .

انتاب كلاى شعور عارم بالغضب الوحشى . فقد اخترق ذلك النصل كل صوره التى رسمها لشخصية " المغامر الغامض " فهو يسميها صوراً . وليست رسومات أو لوحات . فكأنما اخترق معه شغاف قلبه . ورغم أنه يحتفظ بنسخة إضافية من كل ما فى هذه الحقيبة ، إلا أن هذا لم يغير من شعوره الغاضب مثقال ذرة . لقد مزقت سكين المجنون كل شخصياته : " جون " الساحر سماه باسم ابنه بالطبع . " فلاك " ، " فرانك " وصبية البوسى ، و " جين " النائم ، و " سالى بويزون " ، و " ليلى استوليت " ، و " بلو ويتش " ، وبالطبع " راى ديمون " . المغامر الغامض . تلك الشخصيات الرائعة التى ابتكرها . والتى تحيا فى طيات خياله والتى يعول عليها حتى تنقذه من أسر تدريس الفن بعشرات المدارس الريفية بماين ، وقطعه آلاف الأميال شهرياً فيما بينها .

يكاد يقسم أنه قد سمعها تنتحب حينما اخترقها ذلك النصل السويدى الصنع وسط نومها البريء .

اندفع نحو الرجل من دون أن يخشى السكين فى هذه اللحظة على الأقل ليدفعه بكل قوة . وهو يحتمى خلف حقيبته . وزاد غضبه حينما وجدها تنثنى حول نصل السكين .

عاد المجنون لهلوسته وهو يجد صعوبة في تحرير السكين من الحقيبة : " بليت ! بليت كي يام دو رام بازالاااه باباللااه " .

صاح فيه كلاى وهو يثبت قدمه اليسرى خلف ساقيه : " بل أنا الذى سيلقنك درسا أيها الوغد ! " . سيدرك لاحقاً أن جسد الإنسان مهيأ للقتال حينما تقتضى الحاجة ذلك . وهو سر يحتفظ به الجسد لنفسه . تماما كأسرار ركضه أو قفزه أو حتى موته حينما لا يكون هناك خيار آخر . فإنه يتسلم الزمام فى حالات التوتر الشديد . ويقوم بما يتطلب القيام به بينما يتنحى العقل تاركا له الساحة . بعد أن عجز عن فعل أى شيء . اللهم إلا التأمل فى النصل الذى اخترق حقيبة كانت هدية من زوجته فى عيد ميلاده الثامن والعشرين .

تعثر جسد المجنون فوق قدم كلاى كما أراد هو تماما ليسقط على ظهره فوق الرصيف . وقف كلاى فوقه . وهو يلهث . والحقيبة لا تزال فى يده كدرع شوهته الحروب . لا تزال السكين متعلقة بها . يظهر مقبضها من ناحية . ونصلها من ناحية أخرى .

حاول المجنون أن ينهض . إلا أن صديق كلاى الجديد اندفع نحوه ليركله فى رقبته بقسوة . كان القصير يبكى بصوت عال . والدموع تنهمر على خديه لتغبش عدسات نظارته . سقط المجنون ثانية ولسانه بادٍ خارج فمه . كان يصدر أصواتاً لا تختلف عن كلماته التي كان يهذى بها .

قال القصير وسط بكائه : " لقد حاول قتلنا ! . . . لقد حاول قتلنا ! " .

رد كلاى : " بالفعل . بالفعل " . وجد أن نبرته هذه لم تختلف عما قاله لجونى ابنه الصغير حينما عاد إليهما من

أمام المنزل وهو يبكى من خدوش فى مرفقيه صائحاً : " هناك دم ! " .

استند الرجل المسجى على الرصيف نازفاً الكثير من الدم على مرفقيه . محاولا النهوض من جديد . فبادر كلاى هذه المرة بركل أحد مرفقي الرجل مسجيا إياه ثانية إلى الرصيف . بدت الركلة حلا مؤقتا ليس إلا . أمسك كلاى بمقبض السكين . وهو جافل من ملمس الدم المتخثر عليه . بدا الأمر أشبه بمسح راحته فى قطعة لحم باردة . وسحب السكين . خرجت السكين قليلا . ولكنها توقفت أو أن يده هو قد انزلقت عن المقبض . تخيل أنه سمع غمغمات شخصياته التعسة من داخل الحقيبة . بل إنه نفسه كان يغمغم متألما . لم يكن فى وسعه أن يمنع نفسه عن هذا . كما لم يمنع نفسه من الحيرة حول ما سيفعله بالسكين حينما ينجح فى سحبها من الحقيبة . هل سيطعن هذا المجنون حتى الموت ؟ كان قد فكر فى ذلك لحظة التحامه به . أما الآن فلا .

سأله القصير بصوت دامع : " ما الخطب ؟ " . لم يسع كلاى حتى مع كل توتره هذا سوى أن يشعر بالتعاطف مع ما فى نبرة الرجل من خوف عليه . " هل أصابك بأذى ؟ إننى لم أتبين بوضوح ما حدث بينك وبينه . فهل أصابك بأذى ؟ هل أصابتك السكين ؟ "

" كلا . . . فأنا بخير . . . . "

قطع كلامه صوت انفجار فظيع آتٍ من الشمال . من المؤكد أنه عند مطار لوجان على الجانب الآخر من ميناء بوسطن . مما أصابهما بالقشعريرة والخوف فى الآن نفسه .

انتهز المجنون الفرصة فنهض بصعوبة على قدميه إلا أن القصير وجه له ركلة خائفة إلا أنها أصابته فى صدره مباشرة فسقط على الأرض من جديد . زمجر المجنون وقد نجح فى أن

www.rewity.com ^RAYAHEENA^

يقبض على قدم القصير . سيكون بوسعه أن يسقطه ، ومن ثم يصبح بين براثنه . هذا لو لم يتشبث كلاى بكتفى صديقه الجديد ، ويجذبه بعيداً عنه .

صاح القصير فى سخط : " لقد أخذ حذائى ! " . من خلفهم حدث اصطدام جديد بين سيارتين . ومعه المزيد من الصرخات وأصوات أجراس الإنذار تصدح من سيارات الشرطة وعربات الإطفاء ، ومن المتاجر . وكانت هناك أصوات عربات شرطة أخرى تقترب من بعيد . " لقد أخذ الوغد حذا . . . " .

قطع كلامه حينما وجد رجل شرطة يقف أمامه فجأة . خمن كلاى أنه قد اجتاز الشارع صوبهما . وبينما جثا الشرطى على إحدى ركبتيه إلى جوار المجنون الذى لم يتوقف عن غمغماته المهلوسة . وجد كلاى شعوراً بالحب ينبعث بداخله تجاه ذلك الشرطى . هذا لأنه اهتم وأتى لنجدتهما! بل لكونه قد اهتم بهما من الأساس وسط كل هذا الذى يحدث! . قال القصير فى توتر : " عليك أن تحذره . . . فهو . . . "

بادره الشرطى : " أعلم ما هو " . ورأى كلاى أن بيده مسدسه الآلى . لم يكن يعلم إذا ما كان الشرطى قد سحبه بعد أن جثا بجوار المجنون أم أنه كان بيده منذ البداية . لم يكن كلاى قد خرج بعد من أسر ذلك الشعور بالامتنان .

نظر الشرطى إلى المجنون ، وزاد اقترابه منه . حتى أنه بدا لهما يقدم نفسه عن طيب خاطر ضحية له . غمغم قائلاً : " هاه يا صاح . . . كيف حالك ؟ أقصد . . . ما الذى حدث لك ؟ "

هب المجنون نحو الشرطى وقبض بيده على رقبته . ولكن فى ذات اللحظة كان الشرطى قد ألصق فوهة مسدسه بصدغ المجنون وضغط على الزناد . انفجر ينبوع هائل من الدماء عبر شعره الأشيب بعد أن سقط للمرة الأخيرة ، وقد تباعدت ذراعاه فى منظر ميلودرامى .

تبادل كلاى والقصير ذو الشارب النظرات . بعدها نظرا إلى الشرطى . والذى كان قد وضع مسدسه فى جرابه . ويخرج محفظة جلدية من جيب قميصه الرسمى . كان كلاى سعيداً لأن يد الشرطى التى يخرج بها المحفظة كانت ترتجف قليلا . فهو لم يكن خائفاً من الشرطى . إلا أنه كان سيخاف بالفعل لو أن يد الشرطى لم تكن ترتجف . ولو أن ما فعله للتو لم يحرك فيه شعرة . بدا أن صوت العيار النارى قد حفز حاسة السمع لدى كلاى . فقد أصبح الآن يسمع أصوات أعيرة نارية أخرى تصدر من أماكن متفرقة فى المنطقة لتسهم بدورها فى نشاز أصوات هذا اليوم .

التقط الشرطى بطاقة ظن كلاى أنها بطاقته الرسمية من محفظته الجلدية . التى أعادها إلى جيبه ثانية . أمسك البطاقة بإصبعين من يده اليسرى بينما يمناه تعود ثانية إلى سلاحه . كان الدم النازف من رأس المجنون المهشمة يتجمع بالقرب من حذاء الشرطى اللامع . وعلى القرب كانت جثة المرأة وسط بركة دماء أخرى ، وإن كانت قد بدأت تتخثر ويتحول لونها .

سأل الشرطى كلاى : " ما اسمك ، سيدى ؟ "

" كلايتون ريدل "

" هل يمكنك أن تخبرنى باسم رئيس هذه البلاد ؟ "

أخبره كلاى .

" سيدى . . . هل يمكنك أن تخبرنى بتاريخ يومنا هذا ؟ "

" إنه الأول من أكتوبر . هل تعلم ما . . . . " .

إلا أن الشرطى تجاهله ناظراً إلى القصير ذى الشارب : " ما اسمك ؟ "

" اسمى توماس ماكورت ، أقطن فى ١٤٠ شارع ساليم . بمايدين . وأنا . . . " .

" هل يمكنك أن تخبرني باسم الرجل الذى رشح نفسه أمام الرئيس فى الانتخابات الأخيرة ؟ "

فأخبره توماس .

" من هى زوجة براد بيت ؟ "

هنا أشاح ماكورت بيديه قائلا : " من أين لى أن أعلم؟ ربما كانت نجمة سينمائية ما " .

ناول الشرطى كلاى البطاقة وهو يقول : " حسنا . . . أنا الشرطى أورليش آشلاند . وهذه هى بطاقتي . ربما نستدعيكما لتدليا بأقوالكما حول ما حدث . أيها السيدان . وما حدث هو أنكما كنتما بحاجة إلى النجدة . وقد قدمتها . وتعرضت لهجوم . فدافعت عن نفسي " .

إلا أن كلاى بادره قائلا : " بل كنت تود قتله " .

" بالفعل . سيدى . فنحن نعمل على تخليص هؤلاء التعساء مما هم فيه بأسرع ما يمكننا ذلك " . كانت نبرته محايدة . ثم أضاف : " ولو أنك أخبرت أى محقق أو فى ساحة محكمة بأنى قد قلت لك هذا . فسوف أنكره . إلا أن هذا لا يعنى أن ما حدث لم يكن يجب أن يحدث . بل لقد كان من الضرورى أن يحدث . فهؤلاء يفاجئون الناس في كل مكان . وبعضهم يكتفى بأن ينتحر بنفسه . أما البعض الآخر فيهاجم الأصحاء " . تردد قبل أن يضيف : " لكننى أرى الآن أنهم قد صاروا جميعا يهاجمون الناس " . وسرعان ما أتاهم صوت عيار نارى وكأنما يؤمن على كلام الشرطى . كان الصوت قادما عبر الشارع . تلاه صوت ثلاثة أعيرة أخرى متتالية . من باحة الفندق المظلمة . والتى قد صارت الآن كتلة من الزجاج المهشم . والأجساد المحطمة . والسيارات المتصادمة . وبرك الدم . " إن الأمر أشبه بمشهد من مشاهد فيلم ليلة الموتى الأحياء " . قالها الشرطى وهو يهم بالعودة نحو شارع بوليستون ويداه لا تزالان

على سلاحه . " فيما عدا أن هؤلاء ليسوا بالأموات . هذا إن لم نساعدهم نحن على أن يكونوا كذلك " .

صاح شرطى آخر عبر الشارع فى عجلة : " ريك ! . . . ريك علينا أن نسرع إلى مطار لوجان ! كل الوحدات ! هيا بسرعة ! " .

هرول الشرطى آشلاند وهو يحاذر مجتازا الشارع . إلا أنه لم تعد هناك سيارات تمر . فقد صار الشارع مهجورا إلا من حطام السيارات . على أن أصوات المزيد من الانفجارات وصدامات السيارات كانت تصدح من المنطقة المجاورة . وزادت رائحة الدخان قوة . وحينما وصل الشرطى إلى منتصف الشارع التفت إليهما قائلا : " عليكما بالاختباء فى مكان ما . . . فقد حالفكما الحظ مرة . إلا أنه قد لا يحالفكما من جديد " .

فقال كلاى : " أيها الشرطى آشلاند . . . رفاقك لا يستخدمون الهاتف المحمول . . . أليس كذلك ؟ "

حدق فيه آشلاند من مكانه فى وسط الشارع والذى لم يكن أبدا بالموضع الآمن فى رأى كلاى فلم ينس بعد ما حدث لحافلة السياح . قال له الشرطى : " كلا سيدى . فلدينا شبكة راديو خاصة فى سياراتنا . ولدينا هذا أيضا " قالها مشيرا إلى وحدة الاتصال المعلقة فى حزامه . على الجانب الآخر من جراب مسدسه . مما جعل كلاى يتذكر شخصية الرجل الوطواط وحزامه الأسود متعدد المهام .

بادره كلاى : " لا تستخدموه . . . قل لهم ألا يستخدموا الهواتف المحمولة " .

" ما الذى دعاك إلى قول ذلك ؟ "

" لأنهم كانوا يستخدمونها " . قالها وهو يشير إلى المرأة الصريعة والفتاة فاقدة الوعى . " قبيل أن يجن جنونهم . وأنا أراهنك على أن هذا الرجل ذا السكين قد . . . . " .

قاطعه صياح الشرطى الآخر منادياً زميله : " أسرع يا ريك ! . . . أسرع بالله عليك! " .

فكرر له الشرطى تحذيره وهو يجتاز الشارع فى سرعة : " عليكما بالاختباء فى مكان آمن " . تمنى كلاى لو أنه استطاع أن يكرر له تحذيره بخصوص الهاتف المحمول . إلا أنه كان سعيدا على الأقل لأن الشرطى لم يتعرض لأذى . فهو يرى أن لا أحد فى بوسطن بوسعه أن يأمن شر كل هذا الخطر المحدق بالمدينة .

٤

سأل كلاى توم ماكورت : " ما الذى تفعله ؟ . لا تلمسه . فقد تكون به . . . ربما عدوى " .

رد توم : " لن ألمسه . . . . لكننى سأسترد حذائى "

كان الحذاء القابع قرب أصابع اليد اليسرى للمجنون بعيدا على الأقل عن مسار الدم النازف من فجوة رأسه . فسحبه توم إليه محاذرا . ثم جلس إلى حافة رصيف الشارع تماما حيث كانت تقف عربة الآيس كريم منذ زمن بدا لكلاى وكأنه الدهر ليلبس الحذاء . قال : " إن الرباط مقطوع . ذلك الوغد المجنون قد قطع الرباط " . وبدأ ينوح من جديد .

قال كلاى : " دع لنفسك العنان " . وبدأ يخرج السكين من الحقيبة . كانت قد اخترقتها بقوة هائلة ، ووجد أن عليه أن يحركها فى سرعة لأعلى ولأسفل حتى يخرجها . كانت تخرج ببطء شديد ، وبسلسلة من الحركات السريعة ، وبصوت أصابه بالاشمئزاز . كان يتساءل عن أكثر شيء تضرر من هذه السكين بداخل هذه الحقيبة . ورغم سخافة هذا التفكير إلا أنه لم

يستطع أن يمنع عقله عن الانشغال به . " ألا يمكنك أن تسحبها إلى الأسفل ؟ "

" أجل . أعتقد أن . . . " .

سمع كلاى صوتاً آلياً أشبه بطنين بعوضة . أخذ يتعالى حتى صار وكأنه صوت طائرة من تلك الطائرات الصغيرة . نهض توم من مكانه بالرصيف . بينما التفت كلاى نحو الصوت . كانت قافلة عربات شرطة بوسطن تبتعد عن الفندق لتتوقف أمام متجر أضواء المدينة وحافلة السياح المحطمة وأنوارها تومض حول المكان . كان أفراد الشرطة يتطلعون من نوافذ عرباتهم نحو طائرة خاصة متوسطة الحجم . ربما من طراز كيزنا أو من النوع الذى يسمونه البونانزا . وكلاى لا يعلم الكثير عن طرازات الطائرات التى كانت تحلق فوق البنايات فى المنطقة بين ميناء بوسطن وساحة بوسطن العمومية . ثم تهوى بكل سرعة . كانت تتوجه بسرعة شديدة نحو المتنزه وجناحها السفلى يكاد يلامس قمة شجرة خريفية . وسرعان ما صارت فى مسار نهر شارع تشارلز . كما لو أن قائدها يعتقد أن هذا هو ممر هبوطها . ثم ، وعلى ارتفاع أقل من عشرين قدماً فوق الشارع . انحرفت نحو اليسار وارتطم الجناح من تلك الناحية بواجهة بناية حجرية رمادية اللون . ربما كان بنكا . عند تقاطع شارعى تشارلز وبيكون . عندها زال كل إحساس بأن الطائرة تتحرك ببطء . فقد دارت فى سرعة حول جناحها المتحطم . ثم ارتطمت فى قوة بالغة ببناية قرميدية اللون إلى جوار بناية البنك . ثم اندلعت النيران بهيكلها . بينما فر البط فزعا من المتنزه بفعل موجات هذا الارتطام .

انتبه كلاى إلى أنه يقبض على السكين فى يده . فقد نجح فى سحبها بينما كان منشغلا هو وتوم بالتحديق فى تحطم الطائرة . مسحها فى قميصه من الجهتين . وهو يحاذر ألا يجرح جسده

www.rewity.com
^RAYAHEENA^
www.rewity.com
^RAYAHEENA^

فقد كانت يداه ترتجفان . ثم وضعها بحرص شديد فى حزامه ، حتى المقبض . وتذكر حينها إحدى محاولاته فى رسومات القصص المصورة . . . كانت وقت الصبا ، فى حقيقة الأمر .

غمغم لنفسه : " جوكسر القرصان يقف هنا فى خدمتك ، جميلتى " .

سأله توم : " ماذا تقول؟ " . كان يقف الآن إلى جوار كلاى . يحدق فى النيران التى تلتهم الطائرة فى الجهة البعيدة من ساحة بوسطن . لم يزل ذيلها بعيدا عن النيران . وعليه قرأ كلاى رقما . . . LN6409B . فوق الرقم كان هناك ما بدا أنه شعار إحدى الفرق الرياضية .

لكن سرعان ما التهمت النيران كل هذا .

كان يشعر بلفحات الحرارة على وجه .

رد على القصير : " لا شيء . هيا بنا " .

" هاه ؟ "

" هيا لنبتعد عن هذا المكان " .

" أوه . حسنا " .

بدأ كلاى يسير بسرعة عبر الجهة الجنوبية من المتنزه ، فى المسار الذى كان يسير فيه قبل الثالثة عصرا ، أى منذ ثمانى عشرة دقيقة فحسب .

أسرع توم ماكورت ليلحق به . إنه قصير القامة بشكل ملحوظ . قال له : " أخبرنى . . . هل أنت معتاد على هذا الهراء الذى تتمتم به لنفسك ؟ "

رد كلاى : " بالتأكيد . . . يمكنك أن تسأل زوجتى عن هذا " .

٥

سأله توم : " إلى أين نحن ذاهبون ؟ " . وأشار نحو فتحة نفق أخضر اللون بالقرب من بناية أمامهم وهو يضيف : " لقد كنت متوجها نحو المترو " . كان هناك حشد صغير من الناس ينتظر عنده . " إلا أننى أرى أنه قد لا يكون من الصواب أن نستقله الآن " .

قال كلاى : " ولا أنا . لقد حجزت غرفة فى فندق اسمه أطلانطيك . على بعد خمس بنايات من هنا " .

تهلل وجه توم وهو يبادره : " أعتقد أنى أعرفه . إنه عند لودين . بالقرب من ساحة أطلانطيك " .

" حسناً . هيا بنا إلى هناك . حيث يمكننا أن نتعرف على ما يجرى من التلفاز . كما أننى أريد الاتصال بزوجتى " .

" من هاتف الغرفة " .

" أجل من هاتف الغرفة . إننى لا أمتلك هاتفاً خلوياً " .

" لدى واحد . لكننى تركته بالمنزل . فهو معطوب . فقد أسقطه قطى " رافى " من فوق المنضدة . كنت أنتوى أن أبتاع واحدا جديدا هذا النهار بالذات ، لكن . . . انظر سيد ريدل . . "

" كلاى "

" كلاى . إذن . هل أنت متأكد من أن استخدام هاتف الغرفة مأمون العواقب أيضا ؟ "

توقف كلاى عن السير . إنه لم يفكر فى هذه النقطة من قبل . ولكن إذا لم تكن الخطوط الأرضية سليمة . فما هو الذى بقى مأمونا إذن ؟ كان يهم بأن يخبر توم بهذا حينما حدثت جلبة عند مدخل نفق المترو . كانت هناك صرخات فزع ، وألم ، وصيحات وحشية حينها أيقن أنها علامة على جنون قد حل

بتلك البقعة . تشتت الحشد الذى كان متجمعاً عند سلالم النفق . بعضهم صار يجرى فى الشارع ، واثنان منهم أحاطا ببعضهما البعض وهما يلتفتان خلفهما كثيرا ويهرولان . أغلبهم توجه نحو المتنزه ، فى مسارات مختلفة . وانفطر قلب كلاى لمنظرهم الفزع . ولكنه شعر براحة نحو الاثنين اللذين كان يحيطان بعضهما البعض بذراعيهما .

بقى عند المحطة رجلان وامرأتان . كان كلاى متيقناً من أنهما هما من صعدا من المحطة مثيرين كل هذا الفزع . وبينما وقف كلاى وتوم يراقبان المشهد على بعد بناية منهما ، اندلع الشجار بين هؤلاء الأربعة . كان شجاراً هيستيرياً ، ولم يكن هناك سبب ظاهر له رغم شراسته . لم يكن شجارا بين ثلاثة ضد واحد ، أو اثنين ضد اثنين ، ولم يكن بالتأكيد شجاراً بين الفتيان ضد الفتيات . الحقيقة أن إحدى السيدتين كانت فى العقد السادس من عمرها ، وجسدها البدين وطريقة تصفيف شعرها دفعا كلاى إلى أن يخمن أنها تعمل مدرسة ، وتكاد تصل إلى سن التقاعد .

تشاجروا بالركلات واللكمات ، وبالأظافر والأسنان . وهم يزمجرون ويصرخون . وقد أحاطوا بأجساد العشرات ممن سقطوا فاقدى الوعى . أو ربما لقوا مصرعهم . تعثر أحد الرجلين فى ساق ممدودة ليسقط على ركبتيه . وسقطت أصغر السيدتين سنا فوقه . سحب الرجل الساقط على ركبتيه شيئاً من عند الرصيف . رأى كلاى من دون أن يدهش أنه كان هاتفاً محمولاً . وضرب به جانب وجه السيدة . تحطم الهاتف المحمول ، ممزقا وجه السيدة لينهمر الدم بغزارة على كتف سترتها . إلا أن صراخها كان صراخ غضب أكثر منه صراخ ألم . فقد قبضت على أذنى الرجل وكأنهما مقبضا جرة ، وهوت بركبتيها على بطنه ، ثم رفعته وألقته من خلف ظهرها نحو

فتحة النفق . وسرعان ما سقط الاثنان معاً على السلالم للأسفل ليختفيا عن الأنظار .

غمغم توم وهو يجذب كلاى من قميصه فى ضعف غريب : " هيا بنا . . هيا بنا إلى الجانب الآخر من الشارع . . . هيا بنا " .

انقاد كلاى معه عبر شارع بويلستون . واندهش حينما وصلا إلى الجانب الآخر من دون أن يمسسهما سوء ، فإما أن توم كان حريصا على ذلك أو أنه كان محظوظا . توقفا ثانية أمام مكتبة كولونيال ، يراقبان تلك التى بقيت من هذا الشجار وهى تسرع الخطى عبر المتنزه وفى اتجاه الطائرة المحترقة . كان الدم يقطر من شعرها الأشيب وعلى ياقة سترتها . لم يندهش كلاى أبدا لكون أن من بقيت هى السيدة التى بدت له مدرسة أو أمينة مكتبة على بعد عام أو عامين من التقاعد . لقد تعامل مع الكثير من السيدات أمثالها . ويعلم أن من نجحن فى الوصول إلى هذه السن يكون من الصعب هزيمتهن .

هم بأن يقول لتوم شيئاً ساخراً ربما إلا أن ما ند عن فمه لم يتعد أن يكون آهة دامعة . كما أن الرؤية أمامه قد صارت مغبشة . فمن الواضح أن توم ماكورت الرجل القصير ليس وحده من لا يستطيع أن يغالب دموعه . مسح كلاى عينيه بذراعيه ، وحاول أن يمشى من جديد . ولكنه لم يبتعد سوى خطوات وهو فى هذه الحالة .

قال توم : "لا بأس . . . دع لنفسك العنان . . . ابك " .

وهكذا بكى كلاى . وهو يقف أمام واجهة متجر تعج بالكتب القديمة ، التى تحيط بآلة كاتبة عتيقة الطراز ، تعود إلى زمن يسبق بكثير عصر الهواتف المحمولة . بكى لأجل ما جرى للسيدة ذات الحلة ، ولما جرى لبيكسى الشقراء وبيكسى السمراء ، ولأجل ما جرى له ، ولأن بوسطن ليست بالمكان الذى

www.rewity.com ^RAYAHEEN^
www.rewity.com ^RAYAHEEN^

يقطن به . فقد بدا له أن المكان الذى يقطن بـه بعيـد عنـه بعد الشمس عن الأرض .

٦

صار شارع بوليستون مليئاً بالسيارات سواءً المحطمة أو التى تركهـا أصحابها . فلـم يعـودا قلقين مـن أن تصدمهما سيارة انتحارية مسرعة أو تنقلب عليهما حافلة ضخمة . وهو ما بعث فى نفسيهما بعض الراحة . كانت أصوات الانفجـارات وطلقـات الرصاص تأتيهما من جميع أرجاء المدينة وكأنهـا أصوات حفلـة تقام فى الجحيم . كان هناك الكثير مـن الضجيج علـى القرب منهما أصوات أجراس إنذار مـن السيارات ومن المتاجر . أما الشارع نفسه فقد كان فـى تلك اللحظـة مهجورا لدرجـة تـثير الخوف . لقد قال لهما الشرطى بأن عليهما أن يبحثا عـن مكـان آمن يختبئان فيه ، " لقد كنتما محظوظين هذه المرة . . . وقد لا تبقيان محظوظين فى المرة القادمة " .

ولكن ها هو الحظ يحالفهمـا مـن جديد ، وهمـا علـى بعد بنايتين شرقى متجر الكتب . وعلى بعـد بنايـة فقط مـن فندق كلاى المتواضع . حينما اقترب منهما مجنـون آخر ، هـذه المـرة شاب فى أواسط العشرينيات من عمره ، مفتول العضلات انـدفع أمامهما من حـارة ليسـرع عـابرا الشـارع ، قـافزاً فـوق مصدتى سيارتين تصادمتا مـن قبـل ، وهـو يصيح بكلمات هاذيـة غـير مفهومة . كان يمسك فى يديه بهوائيى سيارة ويلوح بهمـا فـى سرعة للخلف والأمام وكأنهما خنجران . كان عاريا إلا من حذاء رياضى بدا جديدا برباطـه الأحمر الفـاقع . وصل إلى الرصيف البعيد وانطلق مسرعا نحو الساحة العمومية ، وجسده الرياضى ينقبض وينبسط فى سلاسة مدهشة .

تعلق توم بذراع كلاى فى قوة ، حتـى ابتعـد هـذا المجنـون الأخير ، عندها أرخى قبضته حول ذراع كلاى . قال : " لو كان قد رآنا . . . . " .

قاطعه كلاى : " بالطبع . . . لكنه لم يرنا " . استـغرب لمـا اعتراه من شعور بالسعادة . علم أنه شعور عـابر ، إلا أنـه كـان مرتاحا له فى تلك اللحظة . أحس كأنما يجلس فـى نـاد عريـق وأمامه أكبر كأس من الآيس كريم .

علق توم : " كم أشفق على من سيراه " .

" أما أنا فأشفق على من سيقع فى طريق هذا المجنـون . . . هيا بنا " .

٧

كانت أبواب الفندق الصغير مغلقة .

اندهش كلاى لدرجـة أنـه تخيـل للحظـة أن مقبض البـاب سرعان ما سينفتح ثانيةً بين أصابعه : إلا أنه كان مغلقاً . الفندق مغلق فى وجهه .

وقف توم إلى جواره ، ومال بوجهه نحو الزجـاج ليرى مـا الذى بالداخل . أتاهما ـ من جهة الشمال مطار لوجان بالتأكيد ـ صوت سلسلة من الانفجارات الضخمة . إلا أنهـا لم تحـدث فـى كلاى هذه المرة سوى رجفة بسيطة . بل ظن أن تـوم لم يبـد أيـة ردة فعل من الأصل . فقد كان مستغرقا تماما فيما كان يراه .

أخـبره مـن موضـعه أخيراً : " هنـاك شخـص ميـت علـى الأرض . يرتدى زياً رسمياً ، إلا أنه أكبر سناً من أن يكـون هـو حارس الفندق " .

رد كـلاى : " إننـى لا أريـد شخصـاً ليحمـل لى حقيبتـى اللعينة . بل أود فقط أن أصعد إلى غرفتى " .

أطلق توم صوتاً غريباً . ظن كلاى أن القصير سيعود للبكاء ثانيةً ، ثم سرعان ما أدرك أنها ليست سوى ضحكة ندت عن فمه .

كانت عبارة فندق أطلانطيك مطبوعة على واجهة الباب الزجاجي المزدوج . وأسفلها كذبة جريئة تقول أجمل أماكن بوسطن . لطم توم براحته زجاج الواجهة عند عبارة أجمل أماكن بوسطن .

أما كلاى فقد أخذ دوره فى التطلع إلى ما بداخل الفندق . لم يكن بهو الفندق بالكبير . وعلى يساره مكتب الاستقبال . أما على اليمين فيقع المصعدان . وافترشت أرضيته سجادة تركية حمراء . وقد رقد فوقها الآن العجوز ميتاً وجهه إلى الأسفل وإحدى قدميه تستند إلى أريكة وعلى ظهره استقرت صورة سياحية .

سرعان ما تبددت مشاعر الارتياح التى كانت قد اعترت كلاى . وحينما تحولت لطمات راحة يد توم إلى ضربات على الزجاج . وضع يده على قبضة توم وهو يقول : " لا تتعب نفسك . . . فإنهم لن يسمحوا لنا بالدخول ، حتى ولو كانوا أحياء ولم يصبهم ذلك الجنون بعد " . ثم أضاف بعد تفكير : " وخصوصا لو لم يصبهم ذلك الجنون " .

نظر إليه توم فى تساؤل : " يبدو أنك لم تفهم حقيقة الوضع . ألم تفهم بعد ؟ "

" هاه ؟ أفهم ماذا ؟ "

" لقد تغير الحال . ولم يعد بمقدورهم أن يمنعونا من الدخول " . دفع يد كلاى عن يده . وبدلاً من أن يواصل الضرب على الزجاج . لصق جبهته به وهو يصيح . حتى أن كلاى اعتقد أن قوة صياحه لا تتناسب مع ضآلة جسده . " أنتم . . . . أنتم يا من بالداخل ! ! " .

جاوبهما الصمت . لم تبدر أية بادرة من داخل البهو . بقى العجوز ميتاً كما هو والصورة على ظهره . " أنتم . . . لو كنتم بالداخل . . فمن الأفضل أن تفتحوا الباب! فمن معى أحد نزلائكم وأنا ضيفه! افتحوا وإلا سوف أحطم هذا الزجاج بحجر من الرصيف . . . هل تسمعونني ؟ "

بادره كلاى قائلا : " حجر من الرصيف ؟ " . ثم أخذ يضحك . " هل قلت حجرا من الرصيف . . . هاهاهاها " . زادت ضحكاته قوة . ولم يستطع أن يمنع نفسه من مواصلة الضحك . إلا أن حركة سريعة على يساره لفتت انتباهه . فالتفت ليرى فتاة مراهقة تقف ليس ببعيد عنهما . كانت تنظر إليهما بعين زرقاء تنم عن أنها قد نجت للتو من كارثة . كانت ترتدى رداءً أبيض . وقد تلطخ صدرها بالدم . وكان هناك الكثير من الدم المتخثر تحت أنفها . وعلى فمها وذقنها . أما خلاف ذلك فلم يكن هناك أى أذى . كما أن من الواضح أنها لم تصب بالجنون . بل هى مصدومة ليس إلا . مصدومة صدمة بالغة .

سألها كلاى : " هل أنتِ بخير؟ " . اقترب خطوة تجاهها وجاوبته هى بخطوة إلى الخلف . لم يكن ليلومها فى ظل هذه الظروف . فاقترب منها أكثر وهو يرفع يده كشرطى مرور : " ابقى مكانك " .

التفت إليهما توم . لكنه عاد ليدق على الباب بكل قوة . حتى أن الزجاج بدأ يهتز تحت وقع ضرباته . " هذه فرصتكم الأخيرة . . . بعدها سنقتحم المكان ! " .

التفت إليه كلاى وهم بأن يخبره بأن هذا الهراء لن يجدى نفعا اليوم . حينما ارتفع رأس أصلع ببطء من خلف مكتب الاستقبال . حتى أنه بدا لها أشبه بمنظار مراقبة يصعد إلى سطح الماء . ما إن رأى كلاى الرأس حتى تعرف عليها قبل حتى أن يرى الوجه؛ فهو الموظف الذى حجز له بالأمس وختم له

تذكرة موقف السيارات . نفس الموظف الذى وصف له مكان فندق كوبلى هذا الصباح . ظل فى مكانه خلف المكتب للحظة . ورفع له كلاى مفتاح غرفته ذا الميدالية الخضراء التى تحمل شعار الفندق . ثم رفع حقيبته . ظناً منه أن الموظف سيتعرف عليه .

ربما حدث هذا . أو أن الموظف قد وجد أن لا خيار آخر أمامه . إلا أنه قد غادر المكتب وسارع نحو الباب . بعد أن دار حول الجثة المسجاة على الأرض . فحينما وصل الموظف إلى الباب أخذت نظراته تتراوح بين كلاى وتوم ثم نظر إلى كلاى ثانية . وعلى الرغم من أنه بدا غير واثق مما يراه . إلا أنه سرعان ما أخرج سلسلة مفاتيح من جيب سرواله وأخذ يبحث عن مفتاح بعينه . حتى وجده . وفتح به الباب من ناحيته . حينما هم توم بإمساك المقبض . رفع الموظف الأصلع يده أمامه تماما كما رفعها كلاى فى وجه الفتاة مدماة الوجه خلفه .

قال : " هيا ... اسرعا " . ثم رأى الفتاة . وهى تقف تراقب الموقف . " لا تدخلاها " .

لكن كلاى قال : " بل ستدخل . تعالى يا صغيرتى " . إلا أنها لم تأت . وحينما حاول كلاى الاقتراب منها . استدارت وأخذت تركض بعيداً . وتطايرت تنورتها من خلفها .

٨

قال كلاى : " قد تموت بالخارج " .

رد الموظف : " ليست هذه بمشكلتى . هل ستدخل أم لا . سيد ريدل ؟ " . كان يتحدث بلهجة بوسطن . وليست تلك اللهجة الجنوبية المنمقة لأهل ماين . حيث يبدو أغلب الناس

وكأنهم أصلاً من ماساشوسيتس . بل لهجته هى لهجة من كان يود لو كان بريطانياً .

كان قد قرر الدخول . لم يكن ليمنعه هذا الشخص من الدخول بعد أن انفتح الباب . إلا أنه تردد لحظةً أخرى على الرصيف . وهو ينظر إلى الفتاة .

فقال له توم فى هدوء : " هيا ادخل . ليس بيدك ما تستطيع فعله لها " .

كان محقاً . ليس بيده شيء . كانت تلك هى الحقيقة المرة . تبع توم إلى الداخل . وعاود الموظف غلق الباب بإحكام من خلفهم . وكأنه هو حصنهم المنيع أمام كل تلك الفوضى الجارية بالخارج .

٩

" هذا فرانكلين " . قال ذلك موظف الاستقبال وهو يقودهما من حول الشخص ذى الزى الرسمى الراقد ووجهه إلى الأرض .

كان توم قد قال من قبل وهو ينظر عبر زجاج الباب إنه أكبر سناً من أن يكون بواب الفندق . وكان كلاى يوافقه الرأى . فقد كان ضئيل الجسد . غزير الشعر الأبيض . والمؤسف أن رأسه الذى كان شعره ينمو عليه (وهو قد قرأ أن نمو الشعر والأظافر بطيء) كان محطما بزاوية مفزعة . كأنه رأس رجل تم شنقه .

" لقد عمل بالفندق طيلة خمسة وثلاثين عاماً . وأنا أعلم بأنه قد أخبر كل نزيل بهذه المعلومة . بل وقد كان يلح على تأكيدها " .

كانت لكنة الموظف تثير أعصاب كلاى . بل كانت تثير اشمئزازه حيث كان يراها أشبه بصوت نفير يطلقه صبى مصاب بالربو .

قال الموظف وهو يعود إلى مكتبه . وكان من الواضح أنه يشعر براحة حين الجلوس إليه . وكان الضوء الساقط على وجهه يبين لكلاى مدى شحوب وجهه : " خرج رجل من المصعد . كان أحد هؤلاء المجانين . وكان من سوء حظ فرانكلين أنه وقف أمام الباب مباشرة . . . " .

قال كلاى : " لا أفترض أنه قد خطر ببالك أن ترفع هذه الصورة اللعينة عنه " . ثم مال إلى الجثة ورفع الصورة ، ووضعها على الأريكة . وفى ذات الوقت . رفع ساق العجوز الصريع عنها وأراحها على الأرض . عندها سقطت بصوت اعتاده كلاى . فقد كان يصوره بالأحرف فى العديد من رسومات القصص المصورة .

قال موظف الاستقبال : " لم يوجه له الرجل سوى لكمة واحدة . كانت كافية لأن يرتطم رأس العجوز فرانكلين بالجدار . وأعتقد أن عنقه قد دقت . وعلى أية حال . فقد كان هذا هو السبب فى سقوط الصورة فوقه " .

كان هذا هو تبرير الموقف فى عقل الموظف .

سأله توم : " وماذا عن الرجل الذى لكمه ؟ . . الرجل المجنون ؟ . . . إلى أين ذهب ؟ " .

قال الموظف : " خرج . عندها علمت أن إغلاق الباب هو أحكم تصرف ممكن . ذلك بعد أن خرج منه " . كان ينظر إليهما نظرة هى مزيج بين الخوف والطمع الشهوانى وجدها كلاى مثيرة للامتعاض . " ما الذى يحدث بالخارج ؟ ما مدى سوء الحال ؟ " .

رد كلاى : " أعتقد أن لديك فكرة جيدة فى هذا الصدد . أليس من أجل ذلك قمت بإغلاق الباب ؟ "

" بلى . ولكن . . . "

بادره توم : " ما الذى يبثونه عبر شاشة التلفاز ؟ "

" لا شيء . لقد انقطع إرسال القنوات الفضائية . . . " . ثم نظر إلى ساعته قبل أن يضيف : " منذ ما يقرب من نصف الساعة " .

" وماذا عن المذياع ؟ "

نظر إليه الموظف نظرة هازئة . بدأ مقت كلاى للرجل يزداد . رد الموظف : " راديو فى هذا المكان ؟ بل فى أى فندق بوسط المدينة ؟ لابد أنك تمزح " . من الخارج أتتهم صرخة فزع ملتاعة . بدت الفتاة ذات الرداء الأبيض الملطخ بالدماء عند الباب مرة أخرى . وبدأت تطرقه بعنف براحة يدها . وهى تلتفت خلفها أثناء ذلك . اتجه كلاى نحوها فى سرعة .

صاح فيه توم : " كلا . ألا تذكر أنه قد أغلق الباب ثانية؟ "

كان كلاى قد نسى ذلك . فالتفت إلى موظف الاستقبال قائلاً : " افتح الباب " .

قال الموظف : " كلا " . ثم عقد ذراعيه فى حزم أمام صدره الضيق ليؤكد على رفضه هذا . بينما كانت الفتاة بالخارج لا تزال تطرق الباب بعنف وهى تتلفت حولها . كان الفزع مرسوماً على وجهها الملطخ بالدماء .

سحب كلاى السكين التى كانت فى حزامه . كان قد نسى أمرها واندهش من السرعة التى تذكرها بها فى هذه اللحظة . وهدد بها الموظف قائلا : " افتحه أيها الوغد . . . وإلا قطعت عنقك " .

١٠

صاح توم : " لا وقت لدينا لهذا ! " . ثم رفع أحد المقاعد عالية الظهر المجاورة لأريكة البهو . ثم اندفع به نحو الباب المزدوج .

رأته الفتاة وهو يقترب فتراجعت فى سرعة . وهى ترفع يديها تحمى بهما وجهها . فى ذات اللحظة التى ظهر فيها الرجل الذى كان يطاردها أمام الباب . كان من الواضح أنه أحد عمال البناء ضخام الجثة تبرز عضلات صدره من خلف قميصه القطنى الأصفر . وشعره الأشيب الطويل معقود خلف رأسه كذيل حصان .

ارتطمت سيقان المقعد بزجاج الباب مهشمةً إياه . وتحطمت معه العبارتان المكتوبتان عليه فندق أطلانطك وأجمل أماكن بوسطن . وسرعان ما ارتطمت سيقان المقعد اليمنى بالكتف اليسرى للرجل ذى القميص الأصفر وهو يهم بالقبض على عنق الفتاة . أما الجانب السفلى للمقعد فقد تعلق بالمزلاج الصلب الذى يربط بين البابين المزدوجين . بينما سقط توم ماكورت إلى الوراء وهو مذهول .

أخذ عامل البناء يزأر متألماً وهو يهذى بكلمات غير مفهومة . وبدأ الدم ينزف من عضلات كتفه اليسرى . وقد نجحت الفتاة فى الفكاك من قبضته . إلا أنها تعثرت وسقطت على الأرض . نصف جسدها فى الطريق والنصف الآخر على الرصيف . وهى تصرخ من الألم والخوف .

وجد كلاى نفسه وهو يقف عند إحدى الواجهتين المهشمتين ولم يذكر كيف ومتى قطع هذه المسافة . أو كيف أزاح المقعد العالق عن طريقه . أخذ يصيح : " أنت أيها الوغد! " . ووجد فى نفسه بعض الشجاعة حينما توقف هذيان الرجل وتسمر فى مكانه . فصاح كلاى : " أجل . . . أنت! إننى أتحدث إليك ! " وبعدها . ولأن هذا هو الشيء الوحيد الذى بوسعه التفكير فيه لحظتها . فقد أخذ يستفزه بالسباب .

صرخ المجنون ذو القميص أصفر اللون بشيء بدا غريباً وأشبه بما تلفظت به السيدة ذات البذلة قبيل أن تلقى مصرعها

ثم استدار نحو البناية التى بدا علي محياه وكأنها ستلتهمه . وأياً كان ما رآه . فإنه لم يكن رجلا متعرق الوجه يحمل بيده سكيناً ويميل نحوه عبر الواجهة . فلم تبدر عنه أية بادرة هجوم . إلا أن الرجل قفز بجسده نحو نصل السكين . وسرعان ما اخترقت السكين أسفل ذقنه الذى لوحته الشمس لتنفجر الدماء منه فى غزارة . سقطت الدماء الساخنة على يد كلاى وكأنما سكب أحدهم قدحاً من القهوة عليها وكان عليه أن يقاوم رغبته فى إبعادها . إلا أنه وجد نفسه يدفع يده دفعاً . حتى أحس بأن السكين تجد مقاومة . ترددت السكين . إلا أنها لم تكن لتركن لهذا . فسرعان ما قطعت هذا الغضروف . ثم خرجت عبر مؤخرة عنق المجنون ضخم الجثة . سقط الرجل إلى الأمام وعجز كلاى عن أن يسند جسده بيد واحدة . فوزن الرجل يزيد على المائتين وخمسين رطلاً واستند للحظة على الباب كسكير يستند إلى عمود إنارة . وعيناه البنيتان جاحظتان . ولسانه المسود بسبب النيكوتين يتدلى من ركن فمه . وعنقه متدل . ثم سرعان ما خارت ركبتاه لينهار ساقطاً . تمسك كلاى بمقبض السكين واندهش من سلاسة خروجها من جسد الرجل . كان ذلك أيسر من خروجها من جلد حقيبته .

بعد أن سقط الرجل أمكنه أن يرى الفتاة من جديد . وإحدى ركبتيها على الرصيف والأخرى على بالوعة الشارع . وهى تصرخ عبر شعرها الذى غطى وجهها من الألم . قال : " عزيزتى . . . عزيزتى لا . . . " إلا أنها واصلت الصراخ .

- ١١ -

كان اسمها " آليس ماكسويل " . كان بمقدورها أن تخبرهما بالكثير . وأخبرتهما بأنها وأمها قد حضرتا إلى بوسطن بالقطار

www.rewity.com ^RAYAHEENA^

من بوكسفورد كما قالت لأجل التسوق . وهو ما اعتادتا على القيام به أيام الأربعاء . وهو " اليوم القصير " بين أيام الدراسة الأسبوعية فى مدرستها الثانوية . قالت إنهما ترجلتا عن القطار بالمحطة الجنوبية واستقلتا سيارة أجرة . وأخبرتهما بأن سائقها كان يرتدى عمامة زرقاء . وأن هذه العمامة الزرقاء هى آخر ما تتذكره إلى أن وجدت موظف الاستقبال الأصلع وهو يفتح مزلاج الباب المهشم للفندق . ويسمح لها بالدخول .

خمن كلاى أنها تتذكر ما هو أكثر من ذلك . واعتمد فى تخمينه هذا على أنها بدأت ترتجف حينما سألها توم عما إذا كان بصحبتها هى أو أمها هاتف محمول . فقد زعمت أنها لا تتذكر . إلا أن كلاى كان متأكداً من أنه كان بجعبة إحداهما أو أو كلتيهما هاتف محمول . فيبدو أن هذا الهاتف قد صار بجعبة الجميع هذه الأيام . كان هو مجرد استثناء لهذه القاعدة . وها هو توم أمامه . وهو يكاد يدين بحياته للقطة التى هشمت هاتفه المحمول .

تحاوروا مع آليس وتمحور الحوار فى أغلبه حول طرح كلاى لأسئلته بينما جلست الفتاة فى صمت . وهى تحدق فى ركبتيها الجريحتين وتهز رأسها بين الحين والآخر داخل بهو الفندق . كان كلاى وتوم قد أزاحا جثة فرانكلين إلى خلف مكتب الاستقبال . وهما يتجاهلان اعتراض الموظف الصاخب بسبب أنه " سيكون عند قدمىّ الآن " . كان الموظف والذى عرفا أن اسمه " ريكاردى " قد تركهما من وقتها وتوجه إلى مكتبه الداخلى . تبعه كلاى حتى يتأكد من أن السيد ريكاردى صادق فيما يخص أن الإرسال التلفزيونى مقطوع . ثم تركه لحاله .

على أن الرجل لم يكن ليترك كلاى من دون تعليق : " لم نعد الآن محصنين أمام هذا العالم المجنون . . أرجو أن تكون قد ارتحت الآن " .

رد كلاى وهو يكظم غيظه : " سيد ريكاردى . لقد رأيت طائرة تتحطم بالجهة الأخرى من الساحة العمومية منذ ساعة . ويبدو لى أن هناك المزيد من الطائرات التى تتحطم الآن بمطار لوجان . ربما كانت أفعالاً انتحارية . إلا أن هناك انفجارات فى كل مكان . أى أن بوسطن بأسرها مفتوحة أمام هذا العالم " .

ما إن انتهى من كلماته حتى وجد المكان بأسره يرتج ارتجاجة هائلة . فلم يحرك ريكاردى ساكناً . واكتفى بأن لوح بيده تجاه كلاى . ومع عدم وجود إرسال تلفزيونى . فقد قرر أن يقبع فى مكانه بالمقعد وهو ينظر فى حدة إلى الجدار .

١٢

وضع كلاى وتوم المقعدين العتيقين خلف الباب . حيث سدا بظهريهما موضع الزجاج المهشم . ومع أن كلاى كان متيقناً من أن عزل الفندق عما يجرى بالشارع ليس سوى شعور مزيف بالأمان . إلا أنه رأى أن عدم إتاحة الفرصة للنظر إلى الشارع عبر الباب أمر لا بأس به . وكان توم يوافقه الرأى . ما إن وضعا المقعدين فى مكانهما . حتى أسدلا الستائر فوق النافذة الرئيسية للبهو . مما أعتم المكان بشكل واضح مخلفا ظلالاً قضبانية على السجادة التركية الحمراء .

بعد أن تم تأمين المكان بهذا . أوجزت آليس ماكسويل فى القصة التى روتها . وتوجه كلاى أخيراً إلى الهاتف خلف المكتب . ألقى نظرة على ساعته التى كانت تشير إلى الرابعة واثنتين وعشرين دقيقة عصراً . فبدا له وقتاً منطقيا لإجراء هذه المكالمة . مع أنه قد فقد من الأصل الإحساس بالزمن . فقد بدا وكأن ساعات مضتً منذ أن رأى ذلك الرجل الذى قضم أذن الكلب بالمتنزه . ومع هذا فهو يعتقد أن كل تلك الأحداث قد مرت فى

غمضة عين . ولكن هناك في نهاية المطاف وقتاً . . وقتاً عادياً مما يحسبه البشر ، ولابد أن شارون زوجته قد عادت من عملها وهي هناك الآن في كينت بوند ، في البيت الذي يعده منزله . كان بحاجة إلى أن يتحدث إليها . حتى يطمئن عليها وحتى يطمئنها عليه . فهذا أمر مهم ، إلا أن هناك ما هو أهم وأكثر إلحاحاً من ذلك .

إنه متيقن من أنه ليس لديه هاتف محمول ، وكذلك حال شارون . ربما تكون قد اقتنت واحداً منذ أن انفصلا في أبريل الماضي ، لكنهما يعيشان في نفس البلدة ، ويكاد يراها كل يوم ، ويظن أنها لو كانت قد ابتاعت واحداً ، لكان قد عرف بهذا . فقد كانت ستعطيه رقمها ، أليس كذلك؟ هذا صحيح . لكن . . .

لكن جوني لديه واحد . جوني الصغير . . . لا ، لم يعد صغيراً الآن . فالثانية عشرة ليست بالسن الصغيرة ، وكان الهاتف المحمول رغبته في آخر عيد ميلاد له . هاتف محمول أحمر يصدر النغمة التي يحبها لذلك البرنامج التليفزيوني حينما يرن جرسه . ولقد كان ممنوعاً عليه بالطبع أن يستخدمه أو أن يخرجه من الأصل من حقيبة مدرسته حينما يكون بالمدرسة ، إلا أن ساعات الدراسة قد انتهت الآن . كما أن كلاي وشارون شجعاه على أن يكون الهاتف معه ، ربما بسبب انفصالهما . أو ربما تكون هناك حالة طوارئ ، أو أن تفوته حافلة المدرسة . ما يأمل فيه كلاي الآن هو أن تكون شارون قد صدقت فيما قالته له من أنها كثيراً ما تدلف إلى حجرته لتجده قد نسيه على مكتبه ، أو على منضدة بجوار الفراش ، أو قد نفد شحن بطاريته .

إلا أنه لم يستطع التخلص رغم هذا من القلق الذي اعتراه بسبب ذلك الهاتف الأحمر .

لمس كلاي جهاز الهاتف الأرضي القابع على مكتب استقبال الفندق ، ثم سحب يده بعيداً عنه . فقد حدث انفجار آخر . إلا أنه كان هذه المرة بعيداً . بدا كطلقة مدفعية انفجرت بعيداً عن خندق الجنود .

قال لنفسه ، " لا تفرض هذا الافتراض . . . بل لا تفترض حتى أن هناك خنادق بها أحد " .

تطلع عبر البهو ليرى توم وقد جلس القرفصاء إلى جوار آليس والتي جلست بدورها إلى الأريكة . كان يحدثها بصوت هامس ، وهو يلامس حذاءها متطلعاً إلى وجهها . لا بأس بهذا . فتوم يعلم أن ما يفعله الآن ضروري . وشعر كلاي الآن بسعادة لهذه المصادفة التي ألقت بتوم ماكورت في طريقه . . . أم أنه هو الذي ساقته الأقدار في طريق توم . . . لا يدري .

كان الأغلب أن تكون الخطوط الأرضية على ما يرام . لكن السؤال يتعلق بمدى كفاءتها الحالية . فلديه زوجة لا يزال يشعر تجاهها بنوع من المسئولية ، كما أن هناك ابنه الذي يعني له كل شيء . بل إن مجرد التفكير فيه يصيبه بالقلق هذه اللحظات . بل إن الفزع ينتابه كلما انشغل عقله بمصيره . فلو كان مطمئناً على حال شارون وجوني لكان قد فرغ عقله لأجل التفكير في الخطوة القادمة . ولكنه لو ارتكب أية حماقة الآن ، فعندها لن يكون في وسعه أن ينجد أحداً . بل سيزيد الأمور سوءاً على من معه هنا . فكر في كل هذا للحظات قبل أن ينادي على موظف الاستقبال .

حينما لم يتلق رداً نادى ثانية . رغم هذا لم يتلق رداً ، فقال : " أعلم أنك تسمعني ، سيد ريكاردي . فلو اضطررتني إلى الذهاب إليك فأعلم أني سأؤذيك . بل قد ألقي بك إلى الشارع " .

عندها رد ريكاردي بنبرة إرشادية : " لن يكون بمقدورك هذا . فلست سوى مجرد نزيل هنا " .

فكر كلاى فى تكرار ما كان توم قد قاله له حينما كانا بالخارج . . . لقد تغيرت الأمور . . . إلا أن شيئاً ما دفعه إلى الصمت .

في النهاية رد ريكاردى بنبرة بدت واثقة أكثر من ذى قبل : " ماذا " . من فوقهم ارتج المكان بصوت ارتطام شديد ، كما لو أن أحدهم قد أسقط قطعة أثاث ثقيلة . ربما كانت مكتباً . هذه المرة تطلع الجميع لأعلى . حتى الفتاة . ظن كلاى أنه سمع صوت صيحة مكتومة - أو ربما صرخة ألم - ولكن لم يتبع هذا أى صوت آخر . ما الذى يحويه الطابق الثاني؟ إنه لا يحوى مطعماً . فهو يتذكر أنه قد قيل له . بل قال له السيد ريكاردى نفسه حينما كان يحجز الغرفة إن الفندق ليس به مطعم . وإن كافيتريا ميتروبوليتان ملاصقة للفندق . ربما كانت حجرة اجتماعات . بل هو متأكد من أنها حجرة اجتماعات ذات مسميات هندية .

تساءل ريكاردى ثانيةً : " ماذا ؟ " . بدا شديد التذمر .

" هل حاولت أن تهاتف أى أحد حينما بدأت كل هذه الأحداث؟ "

رد : " بالطبع ! " . خرج من غرفته . واقترب من الباب الواقع بين المكتب الداخلي والمنطقة وراء مكتب الاستقبال . كان ينظر إلى كلاى فى سخط . " لقد انطلق إنذار الحريق فعملت على إيقافه . فقد ذكرت دوريس أنها مجرد نيران أمسكت بسلة مهملات فى الطابق الثالث . وهاتفت إدارة المطافئ لأخبرهم بألا يهتموا بهذا الإنذار . إلا أن خطوطهم كانت مشغولة ! . . . مشغولة ! . . . هل تتخيل حدوث هذا! " .

فقال توم : " لابد أنك شعرت بالحزن الشديد لهذا " .

بدا ريكاردى هادئاً للمرة الأولى : " هاتفت الشرطة حينما بدأت تلك الأمور بالخارج . . . تسير نحو الهاوية " .

رد كلاى : " بالفعل " . هذا هو أنسب تعبير لما يجرى نحو الهاوية . وهل رد عليك أحدهم ؟ "

" أخبرنى شخص بأن صوتى غير واضح . ثم أغلق الخط فى وجهى " . كان السخط يتسلل مرة أخرى إلى صوته . " وحينما هاتفتهم ثانيةً وكان هذا بعد أن خرج المجنون من المصعد ليقتل فرانكلين ردت علىّ امرأة . قالت ... " هنا بدأ صوته يتهدج ولحظ كلاى دموعاً تنساب على جانب أنف الرجل . " ... قالت ... " .

بادره توم متسائلاً فى تعاطف : " ماذا؟ . . ما الذى قالته لك سيد ريكاردى ؟ "

" قالت إنه طالما قد مات فرانكلين وهرب المجنون فليس لدى ما أقلق بشأنه . وكانت هى من نصحتنى بأن أحكم إغلاق الباب علىّ . كما طلبت منى أن أستدعى المصاعد إلى الطابق الأرضى ومن ثم أعطلها . وهو ما فعلته " .

تبادل كلاى وتوم نظرات تنم عن أن هذه قد كانت فكرة جيدة ، وانتابت كلاى صورة حية لحشرات احتجزت بين نافذة مغلقة . وأسلاكها المعدنية . وهى تصدر طنيناً مجنوناً . إلا أنها عاجزة عن الخروج . كانت لهذه الصورة علاقة بصوت الارتطام الذى سمعوه فوقهم . تساءل عن الوقت الذى سيستغرقه من هم محتجزون بالأعلى حتى يعثروا على الدرج .

" ثم أغلقت الخط . فهاتفت زوجتى فى ميلتون " .

قال كلاى محاولاً التأكد مما سمعه : " وهل استطعت مكالمتها " .

" لقد كانت خائفةً جداً . وطلبت منى أن آتيها فى المنزل . فقلت لها إنهم قد نصحونى بأن أبقى بالداخل وأن أغلق الباب علىّ . وأخبرتها بأن تفعل الشيء ذاته . وألا تصدر أية جلبة تجذب الانتباه . توسلت إلىّ أن أعود إلى المنزل . قالت إن هناك

تبادلاً لإطلاق النار بالخارج . وانفجاراً على بعد شارع من منزلنا . وإنها قد رأت رجلا عاريا يركض عبر فناء منزل الجيران " .

قال توم وهو يحاول تهدئته : " تابع كلامك " . أما كلاى فاكتفى بالصمت . وقد شعر ببعض الخجل من الأسلوب الغاضب الذي تعامل به مع ريكاردى . إلا أنه تذكر أن توم كان غاضبا أيضا .

" قالت بأنه قد خيل لها . . . خيل لها . . أن الرجل العارى كان يحمل جثة طفل عار . لكن ربما كانت مجرد دمية . وتوسلت إلى ثانية أن أغادر الفندق عائدا إلى المنزل " .

كان ما يريده كلاى هو أن يطمئن إلى أن الخطوط الأرضية آمنة . صحيح أن ريكاردى واقع تحت تأثير صدمة ، إلا أنه لم يجن بعد . عندها وضع كلاى يده على الهاتف . إلا أن يد ريكاردى حطت على يده قبل أن يرفع سماعة الهاتف .

كانت أصابع ريكاردى طويلة وباردة كالثلج . فلم يكن قد انتهى من كلامه بعد .

" أخذت تسبنى ثم أغلقت الخط فى وجهى . أعلم أنها قد غضبت منى ، كما أعلم سبب هذا بالطبع . إلا أن الشرطة هى التى طلبت منى أن أغلق الباب على نفسى هنا . طلبت منى أن أبقى بعيدا عن الشارع . الشرطة . . . . أى السلطات " .

أومأ كلاى برأسه مؤمنا : " بالتأكيد . . . السلطات " .

سأل ريكاردى : " هل أتيتما عن طريق قطار الأنفاق؟ فأنا دوما ما أستخدمه . فهو على بعد بنايتين من هنا . كما أنه مريح " .

قال توم : " لن يكون مريحا هذه الظهيرة . بعدما رأيناه هناك للتو . فلن يمكنك أن تستقله بعد الآن "

نظر ريكاردى إلى كلاى فى لهفة حزينة . " أرأيت؟ " . فأومأ كلاى برأسه ثانية . ثم قال وهو يعلم أنه هو نفسه كان ليبذل أى غال كى يعود لمنزله ويطمئن على ابنه : " كان من الأفضل لك أن تبقى هنا " . كان بالطبع يريد أن يطمئن على شارون . ولكن قلقه على ابنه كان أكبر . ويعلم أنه ما من شيء يمكن أن يوقفه إلا ما هو ليس بمقدوره أن يواجهه . كان الأمر أشبه بثقل حط على عقله فحجب عنه الرؤية السليمة . " هنا أفضل بكثير " . ثم التقط سماعة الهاتف وضغط الرقم ٩ ليصل إلى خط خارجى . لم يكن متيقنا من أنه سيصل إلى خط ، إلا أن هذا قد حدث . ضغط على الرقم ١ ، ثم ٢٠٧ كود منطقة ماين ثم ضغط ٦٩٢ . والذى كان يخص منطقة كينت بوند وما حولها . لقد ضغط ثلاثة من الأربعة أرقام الأخيرة قبل أن يأتيه صوت انشغال الخط . ومن بعده صوت أنثوى مسجل يقول : " نأسف فجميع الخطوط مشغولة . نرجو تكرار المحاولة فى وقت لاحق " .

بعدها أتاه صوت تعرف منه على انقطاع خطه عن ماين . . . هذا لو كان مصدر الصوت يأتى فعلاً من هناك . أسقط كلاى السماعة عند كتفه ، كما لو صارت ثقيلة لدرجة يعجز معها عن حملها . ثم أعادها ثانية إلى مكانها فى الجهاز .

١٣

أخبره توم بأن قراره بالمغادرة قرار مجنون .

وبين له أنهم هنا بالفندق آمنون نسبيا ، خاصة والمصعد معطل والمدخل إلى البهو من ناحية الدرج قد صار مسدودا ، بعد أن دعموه بالصناديق والحقائب من غرفة الأمتعة وحتى نهاية الممر القصير خلف حيز المصعد . فحتى لو حاول أى شخص ذى

www.rewity.com
ARAYAHEEN
www.rewity.com
ARAYAHEEN

قوة غير عادية أن يدفع الباب من الجهة الأخرى . فربما لن ينجح سوى فى إزاحة كومة الصناديق جانبا . فاتحا ثغرة لن تزيد على ست بوصات . وهى لن تكفى لعبور أى بشرى . كما أن الاضطرابات بالمدينة خارج مخبئهم الصغير هذا تبدو فى ازدياد . فهناك صخب متواصل تصنعه أجراس الإنذار . والصيحات والصرخات والعربات التى تمرق فى سرعة . وكذلك الدخان حتى ولو كانت رياح النهار لا تزال تبعدها عنهم . . . حتى الآن . هكذا خطر لكلاى . إلا أنه لم يشأ أن يفصح عن هذا الخاطر حتى لا يخيف الفتاة بأكثر مما هى عليه الآن . كانت الانفجارات عالية بشكل لم يكن له مثيل من قبل . وكان أحدها قريبا حتى أنهم حاولوا تفاديه بشكل غريزي؛ وظنوا أن النافذة الأمامية سوف تتهشم . إلا أن هذا لم يحدث . ولكنهم فضلوا بعدها الانتقال إلى صومعة السيد ريكاردى .

أما ثالث الأسباب التى قدمها توم ليبين بها لكلاى جنون فكرته . فهو أن الساعة قد تعدت الآن الخامسة بربع الساعة . وسرعان ما سينتهى النهار . وقال له بأن محاولة مغادرة بوسطن فى جنح الظلام ستكون هى الجنون المطبق بعينه .

قال له : " ألق نظرة هناك " . قال هذا وهو يومئ نحو النافذة الصغيرة بغرفة ريكاردى . والتى كانت تطل على شارع إيسيكس . والذى صار الآن مكتظا بالسيارات التى تركها أصحابها . كما كان به جثة واحدة على الأقل . لامرأة ترتدى قميص فريق ريد سوكس . كانت مسجاة ووجهها إلى رصيف الشارع . وذراعاها ممدودتان . كما لو أنها قد لقيت مصرعها وهى تحاول الاستحمام . كان مطبوعا على قميصها عبارة ساخرة تقول : " هل تعتقد أن بوسعك أن تقود سيارتك؟ إذن عليك بالتفكير مليا قبل هذا " .

رد ريكاردى : " إنه على حق " . كان جالساً خلف المكتب وذراعاه معقودتان أمام صدره الضيق . وقد ارتسمت الكآبة على وجهه . " إن سيارتك بمرآب شارع " تام ورث " . وأنا أشك فى أن تنجح فى أن تحصل على مفتاحها " .

هم كلاى الذى كان قد يئس منذ زمن من أن يجد سيارته على حالها بأن يقول لهما إنه لم يخطط لأن يقود سيارة . حينما سمعوا صوت ارتطام آخر بالطابق العلوى . كان هذه المرة من القوة التى جعلت السقف يهتز . صاحبه صوت تحطم زجاج . نظرت آليس ماكسويل التى كانت تجلس على مقعد قبالة مكتب ريكاردى إلى أعلى فى عصبية ثم بدا أنها تحاول التقوقع حول نفسها .

تساءل توم : " ما الذى يجرى بالأعلى؟ "

رد ريكاردى : " بالأعلى حجرة " إيروكوس " . . . أكبر حجرة بين حجرات الاجتماعات الثلاث . وبها نخزن جميع توريداتها من مقاعد وطاولات وأجهزة سمعية بصرية " . صمت قليلا . قبل أن يضيف : " ومع أنه ليس لدينا مطاعم هنا . إلا أننا نقوم بالتجهيز لحفلات الكوكتيل وخلاف ذلك من المشروبات . لو طلب العميل منا هذه الخدمة . وهذا الارتطام الأخير . . . . " .

لم يتم جملته . وبدا لكلاى أنه لم يجد ضرورة لذلك . فقد كان هذا الارتطام الأخير بسبب إسقاط عربة معبأة بالأكواب والأطباق على الأرضية . حيث سقطت قبلها عربات عدة على يد مجنون هائج ومحتجز بالأعلى . يطن عبر أرجاء الطابق الثانى كحشرة وجدت نفسها بين النافذة وأسلاكها . كما أنه لا يملك من الذكاء ما يكفى ليجد لنفسه مخرجاً . فليس بيده سوى أن يركض ويحطم . ثم يركض ليحطم .

نطقت آليس للمرة الأولى خلال قرابة نصف الساعة . ومن دون أن يجبرها أحد على هذا ، لأول مرة منذ أن وجدوها .

" لقد ذكرت شيئاً عن سيدة تدعى " دوريس " " .

أومأ ريكاردى برأسه قائلاً : " أجل . دوريس جواتريز . رئيسة قسم النظافة . وهى موظفة ممتازة . بل هى الأفضل لدىَّ . كانت فى الطابق الثالث ، وهذا آخر ما أعلمه عنها " .

" هل كان بجعبتها . . . ؟ " لم تتم آليس السؤال . إلا أنها أشارت بيدها إشارة مألوفة جداً . حيث وضعت يدها عند أذنها وإبهامها يشير ناحية الأذن بينما البنصر يشير نحو الفم ، وكأنما هما سماعة هاتف .

بادر ريكاردى بقوله : " كلا . فعلى الموظفين أن يبقوا هواتفهم بدواليبهم أثناء قيامهم بالعمل . ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للتوبيخ العلنى . ومن يكرره يمكن أن يفصل من العمل نهائياً . وأنا أنبههم إلى ذلك عند تسلمهم وظيفتهم " ثم هز كتفه وهو يضيف : " إنها سياسة الإدارة ، وليست سياستى الخاصة " .

فسألته آليس : " ألم يكن عليها أن تهبط إلى الطابق الثانى كى تتحقق من مصدر هذه الجلبة؟ " .

قال ريكاردى : " هذا احتمال ممكن . وليس لى من طريقة أتحقق بها من ذلك . كل ما أعرفه هو أننى لم أرها منذ أن أبلغتنى بتلك النيران التى شبت بسلة المهملات . بعدها لم تجب جرس استدعائى لها . وكنت قد طلبتها مرتين " .

لم يشأ كلاى أن يقول لهم : أترون . . لسنا هنا فى مأمن . . ولكنه نظر إلى توم مجتازاً بعينيه آليس محاولاً أن يخبره ما يود قوله من خلال عينيه .

فقال توم : " كم عدد من احتجزوا بالأعلى فى رأيك؟ "

" ما من سبيل لمعرفة ذلك " .

" حتى لو خمنت " .

" ليسوا بالكثير . فبالنسبة لطاقم خدمة الغرف ، فلن يكون هناك سوى دوريس . حيث إن عمال وردية النهار يغادرون فى الثالثة ، بينما لا يحضر عمال وردية الليل إلا فى السادسة " .

زم ريكاردى شفتيه ، قبل أن يضيف : " هذا من باب التوفير ليس إلا . أما بالنسبة للنزلاء . . . "

سكت ولم يتم كلامه .

ثم قال بعد لحظات : " إن الظهيرة وقت هدوء بالنسبة لنا . وتكون الحركة فى حدها الأدنى . فنزلاء الليلة السابقة قد غادروا جميعاً حيث إن وقت تصفية الحساب هو الظهر فى هذا الفندق بينما نزلاء هذه الليلة لم يكونوا سيحجزون إلا فى الرابعة . وهنا لا أقصد النزلاء الذين يمكثون لعدة أيام متصلة . كما هى حال السيد ريدل " .

أومأ كلاى إذ لم يشأ أن يقطع حديثه . ففى العادة يخرج رجال الأعمال فى فترة الظهيرة ليقوموا بكل الأنشطة التى دعتهم إلى المجيء لبوسطن . وهكذا ترون أن المكان يكاد يكون خالياً إلا منا " .

جاءهم صوت ارتطام آخر ، كما لو أنه يعترض على هذه العبارة الأخيرة ، مع المزيد من الزجاج المهشم ، وصوت هادر وحشى مكتوم . دفعهم جميعاً إلى النظر لأعلى .

قال توم : " استمع ، كلاى . . . لو أن ذلك الشخص بالأعلى نجح فى العثور على الدرج . . . وأنا لا أعلم إذا ما كان أمثال هؤلاء قادرين على التفكير أم لا . . . ولكن . . . " .

رد كلاى : " بالنظر إلى ما رأيناه منهم بالشارع ، فإنى أجد أن من الخطأ أن ننعتهم بالبشر من الأصل . فأنا أتخيل ذلك الشخص أقرب إلى حشرة وجدت نفسها بين النافذة وأسلاكها . يمكن لحشرة كهذه أن تخرج لو وجدت فجوة ما وهكذا يمكن له

www.rewity.com ^RAYAHEEN^

أن يجد الدرج . ولكنه لو نجح في ذلك . فهذا سيكون من باب المصادفات ليس إلا " .

قال ريكاردى : " ولو هبط عبره ليجد باب البهو مسدوداً . فسوف يستخدم باب الطوارئ المفضى إلى الحارة الخلفية " . ثم أردف بلهفة : " وسوف نسمع صوت جرس الإنذار حيث إنه مجهز لينطلق عند محاولة أى شخص أن يدفع قضيب الباب وعندها سنعلم أنه قد رحل . أى أن الأمر أسخف من أن نفكر فيه " .

جفل الجميع مع صوت انفجار ضخم آتٍ من جهة الجنوب . عندها أدرك كلاى ما كان يحكيه له من عاش فى بيروت أيام الحرب الأهلية فى الثمانينيات .

قال فى صبر : " أحاول أن أوضح أمراً ما هنا " .

فقال توم : " لا أوافقك الرأى . فلن تخرج من هنا أبداً لكونك قلقا على زوجتك وابنك . بل أنت تحاول إقناعنا برأيك لأنك لا تود الذهاب وحدك " .

أطلق كلاى زفرة ساخطة : " من المؤكد أننى لا أريد الذهاب وحدى . إلا أن هذا ليس هو سبب طلبى منكم أن تصاحبونى . إن رائحة الدخان تزداد قوة . ومع هذا فهل يذكر أحد أنه قد سمع صوت أبواق عربات شرطة أو إطفاء؟ "

لم يجبه أحد .

فقال كلاى : " ولا أنا كذلك . لذا فلا أعتقد أن الأمور ستتحسن فى بوسطن بعد الآن . ليس قبل مضى وقت طويل . بل هى تسير إلى الأسوأ . فلو كان السبب هو الهواتف المحمولة . . . " .

انفعلت آليس لتقول فى سرعة . وكأنها تريد التأكد من أن أياً من الكلمات لن يطير من ذاكرتها قبل أن تنطقه : " لقد حاولت أن تترك رسالة لأبى . كانت تود فقط أن تتأكد من أنه قد

جلب الملابس من المغسلة ؛ لأنها كانت تحتاج رداءها الصوفى الأصفر لأجل حضور اجتماع اللجنة . كما كنت بحاجة إلى زيى الرياضى الإضافي لأجل مباراة خارجية يوم السبت القادم . كنا بداخل سيارة الأجرة . حينما حدث الاصطدام ! لقد أمسكت بعنق الرجل وغرست أسنانها فى وجهه وسقطت عمامته واندفعت الدماء غزيرة من جانب وجهه قبل أن يحدث الاصطدام! " .

تلفتت آليس حولها لتجد ثلاثة وجوه تحدق بها . ثم دفنت وجهها بين يديها وبدأت تبكى . اقترب منها توم ليهدئها . إلا أن ريكاردى أدهش كلاى حينما نهض عن مقعده ودار حول المكتب حتى يحيط الفتاة بذراعه قبل أن يقترب منها توم : " لا عليك . . . لا عليك . أنا متأكد من أن هناك سوء فهم ما فيما حدث . فتاتى " .

نظرت إليه . وعيناها متسعتان بشكل غريب : " سوء فهم ؟ " . أشارت إلى بقع الدماء التى جفت فوق قميصها القطنى . " هل يبدو لك هذا مجرد سوء فهم؟ لقد استعنت بلعبات الكاراتيه التى تعلمتها فى فصول الدفاع عن النفس بالمدرسة الثانوية . لقد دافعت عن نفسى ضد والدتي ! لقد حطمت أنفها . بل أعتقد . . . أني . . . بل أنا متأكدة من أنى فعلت ذلك . . . " . أخذت تهز رأسها فى قوة فيتطاير شعرها من حولها . " ومع هذا . ولو لم أنجح فى فتح الباب من خلفى . . . لكانت قد قتلتنى " .

تابعت آليس كلامها : " بالفعل . كانت لتقتلنى . إنها لم تكن تعرفنى . أمى لا تعرفنى " . حولت نظراتها بين كلاى وتوم . ثم قالت فى صوت أقرب للهمس : " إنه الهاتف المحمول . . الهاتف المحمول ... أتفهمون ؟ " .

١٤

سأل كلاى : " كم عدد هذه الهواتف اللعينة بهذه المدينة إذن؟ . . . ما هو مدى انتشارها ؟ "

رد ريكاردى : " بالنظر إلى العدد الكبير للطلبة الجامعيين هنا ، فيمكننى القول بأن عددها هائل " . كان قد عاد إلى مقعده خلف المكتب ، وبدا الآن أكثر تجاوبا معهم . ربما كان السبب هو مساهمته فى تهدئة الفتاة . أو ربما هو النقاش : " ورغم أن عددها لا يقتصر على ما هو لدى الطلبة الميسورين . فقد قرأت مقالاً فى مجلة اقتصادية منذ قرابة شهر أو شهرين يقول بأن عدد الهواتف المحمولة فى الصين يماثل عدد سكان الولايات المتحدة . فهل تتخيل هذا ؟ "

لم يكن كلاى يود أن يتخيل الأمر .

بادر توم قائلا : " حسنا . لقد حدست المراد من حواركما هذا . إن هناك منظمة إرهابية ما استطاعت أن تخترق إشارات الهواتف المحمولة بطريقة أو بأخرى . بحيث إن أى شخص يجرى مكالمة أو يتلقاها يصاب بنوع من . . . من ماذا ؟ يتلقى رسالة ما وبشكل لا شعورى ، على ما أعتقد . . . تصيبه بالجنون . هذا أمر أشبه بالخيال العلمى . لكننى أفترض أنه ومنذ خمسة عشر أو عشرين عاماً لم يكن الهاتف المحمول نفسه قد خرج عن حيز أن يكون خيالاً علمياً جامحاً بالنسبة لمعظم الناس " .

قال كلاى : " أنا متأكد من أن الأمر يشبه شيئاً من هذا . فأنت قد تتلقى إشارة تكفى وبسرعة لأن تذهب بعقلك . بل حتى لو كنت تستمع إلى مكالمة شخص آخر جوارك " . كان يقصد بذلك ما حدث لبيكسى السمراء ، " إلا أن الدهاء يكمن فى

توقع أن الناس ما إن يلحظوا هذه الأمور الغريبة التى تحدث من حولهم سوف . . . "

أكمل توم له عبارته قائلاً : " فإنهم سيبادرون باستخدام هواتفهم الخلوية كى يعرفوا السبب "

" بالطبع . ولقد رأيت أناساً يفعلون هذا " .

فنظر إليه توم فى كآبة قائلاً : " وكذلك أنا " .

قال ريكاردى : " وما علاقة كل هذا برغبتك فى مغادرة الفندق بشكل مأمون . خاصةً والليل قد بدأ يحل . هذا ما لا أفهمه " .

لم يرد عليه سوى صوت انفجار آخر . تلاه سلسلة من الانفجارات . منبعها المنطقة الجنوبية الشرقية . فبدت وكأنها أصوات وقع خطوات مارد عملاق . ومن فوقهم أتى صوت ارتطام وصرخة غضب مكتومة .

قال كلاى : " لا أعتقد أن للمجانين عقلاً يدفعهم إلى التفكير فى مغادرة المدينة بنفس القدر الذى قد يجعل ذلك الذى بالأعلى يجد سبيله إلى الدرج " .

خيل إليه للحظات أن تلك النظرة التى على وجه توم هى نظرة مصدوم . ولكنه سرعان ما أدرك أنها شيء آخر . ربما كانت نظرة اندهاش . أو أملاً ينحسر . فقال وهو يلطم وجهه وقد تنبه لحقيقة غابت عنه حتى هذه اللحظة : " أوه . . يا إلهى . . . إنهم لن يغادروها . لم يخطر لى هذا ببال " .

ردت آليس وهى تعض على شفتها وتنظر إلى يديها المتوترتين . ولكنها أجبرت نفسها على النظر إلى كلاى : " ربما يكون هناك شيء آخر . فقد يكون من الأسلم أن نرحل بعد حلول الظلام " .

" وما السبب فى رأيك يا آليس ؟ "

" إنهم إن لم يستطيعوا رؤيتك أى حينما تختبئ خلف شيء ما يتجاهلونك وينسونك " .

بادرها توم : " وما الذى حداك إلى هذا التفكير يا عزيزتي؟ "

ردت بصوت خفيض : " هذا لأننى قد اختبأت من الرجل الذى كان يطاردنى . الرجل ذى القميص الأصفر . قبيل أن أراكما . اختبأت فى حارة . خلف أحد البراميل . وكنت خائفة . لأننى ظننت أنه لن يكون هناك مهرب إن هو تبعنى إلى داخل الحارة . إلا أن هذا كان هو كل ما فكرت فيه لحظتها . رأيته يقف عند مدخل الحارة ، وينظر حوله . ويدور حول نفسه ، حتى اعتقدت فى البداية أنه يحاول خداعي . فهو قد رآنى وأنا أدخل إلى الحارة ، ولم أكن أبعده عنه سوى عدة خطوات . . . مجرد خطوات . . . تكفى لأن يقبض . . . " بدأت ترتجف . إلا أنها تابعت كلامها : " ولكننى ما إن صرت هناك . . . حتى كان الأمر أشبه . . . لا أعلم بماذا أصف . . . " .

قال توم : " وكأنك قد غبت عن ناظريه ، وعن عقله . ولكن لماذا توقفت عن الركض طالما كان على هذا القرب منك؟ "

" لأننى عجزت عن مواصلة الركض . لقد صارت ساقاى كالمطاط ، وشعرت بأن جسدى سينهار . ولكن تبين لى فى نهاية المطاف أنه لم يكن على أن أركض من الأصل . فقد أخذ يدور حول نفسه عدة مرات أخرى ، وهو يتفوه بكلام غير مفهوم . ثم ابتعد . لم أصدق عينى . وقلت لنفسى إنها خدعة منه . . . إلا أننى أحسست أنه أشد جنونا من أن يفكر فى هذا " . رمقت كلاى ، ثم عادت لتنظر إلى يديها من جديد . " لقد كانت مشكلتى فى أننى لاقيته من جديد . كان على أن أبقى معكما منذ البداية . فأحيانا ما لا أحسن اتخاذ القرار فى الوقت المناسب " .

قال كلاى : " لقد كنت خائـ . . . " ، ما إن همّ بنطق هذه العبارة حتى سمعوا وقع أضخم انفجار حدث هذا اليوم ، وكان الصوت يأتيهم من جهة الشرق . صوت صم آذانهم! وجعلهم يجفلون وهم يسدون آذانهم بأيديهم . وسمعوا صوت تهشم نافذة البهو .

قال ريكاردى : " يا . . . . إلهى " ، كانت عيناه المتسعتان أسفل رأسه الأصلع تجعله يبدو فى نظر كلاى كشخصية معلم آنى اليتيمة ، " دادى ووربكس " . " قد تكون هذه محطة شل الموجودة فى نيلاند . وهى المحطة التى تستخدمها جميع الحافلات وسيارات الأجرة . فهى فى الجهة التى أتى منها الصوت " .

لم يسع كلاى أن يعرف صحة هذا الكلام من عدمه ، كما أنه لم يشم رائحة البنزين المحترق ليس بعد ، إلا أن مخيلته ترى الآن مثلثا من بنايات المدينة وهى تحترق كمصباح بوربان وسط النهار .

سأل كلاى توم قائلا : " هل يمكن لمدينة حديثة أن تحترق ؟ مدينة من خرسانة ومعادن وزجاج؟ هل يمكن أن تحترق كما حدث لشيكاغو بعد أن رفست بقرة السيدة أوليرى المصباح ؟ "

قالت آليس : " ليست هذه الرفسة سوى أسطورة " . كانت تفرك مؤخرة عنقها وكأنها تعانى من صداع شديد . " ولقد ذكرت السيدة مايرز هذا فى التاريخ الأمريكى " .

قال توم : " هذا ممكن . انظر إلى ما حدث لمركز التجارة العالمى ، بعد أن اصطدمت به تلك الطائرات " .

أمن ريكاردى على كلامه : " طائرات مليئة بالوقود " .

بدأت رائحة غاز الوقود المحترق تهب ، وكأنما استدعاها ريكاردى بكلماته الأخيرة ، كانت تأتى عبر نافذة البهو المهشمة ، وتتسلل من أسفل الباب ومن ثم إلى المكاتب الأخرى .

www.rewity.com
^RAYAHEENA^

علق توم بقوله : " أعتقد أنك كنت على معرفة بمحطة شل هذه " .

توجه ريكاردى إلى الباب الفاصل بين مكتبه والبهو . فتح قفله بالمفتاح ثم فتحه . لم يكن ما رآه كلاى فى البهو الكئيب المهجور ذا بال . أخذ ريكاردى يتشمم الهواء بصوت مسموع ، ثم أغلق الباب ومن ثم أوصده بالمفتاح مرة أخرى . قال : " لقد أصبحت الرائحة أضعف بالفعل " .

رد كلاى : " أتمنى هذا . فإما هذا وإما أن يكون أنفك قد اعتاد الرائحة " .

قال توم : " أعتقد أنه قد يكون محقاً . فهناك ريح غربية قوية بالخارج وأعنى بهذا أن الهواء يتحرك نحو المحيط ولو أن ما سمعناه للتو هو انفجار بالمحطة الجديدة التى فى تقاطع شارعى نيلاند وواشنطن ، بجوار مركز نيو إنجلاند الطبى . . . "

قال ريكاردى : " هذا بالفعل . . هذا صحيح " ، ثم ارتسمت الكآبة على وجهه وهو يضيف : " أوه . . . الاحتجاجات! ورغم هذا فقد أقاموه ، أعتقد أن . . . " .

تابع توم كلامه وكأنه لم يسمعه : " . . . فأعتقد أن هناك حريقاً بالمستشفى الآن . . . يحاصر كل من تبقى بداخله ، وبالطبع . . . . " .

قالت آليس : " كلا " ، ثم وضعت يدها على فمها .

" بل أعتقد أن هذا صحيح . ومركز وانج فى سبيله لذلك أيضاً . وقد يخفت هبوب الرياح مع حلول الظلام ، ولكن لو لم يحدث هذا ، فإن كل مكان إلى الشرق من ماس بايك سيحترق تماماً مع حلول العاشرة مساءً " .

فقال ريكاردى : " ونحن إلى الغرب من هذا " .

رد كلاى : " نحن إذن فى مأمن . . . على الأقل من هذه الناحية " . توجه إلى النافذة الصغيرة بالمكتب ، ووقف على أطراف أصابعه ، وأخذ ينظر عبر شارع إيسيكس .

سألته آليس : " ما الذى تراه؟ . . هل ترى أناساً ؟ "

" كلا . . . بلى . هناك رجل واحد . على الجانب الآخر من الشارع " .

عادت لتسأله : " هل هو واحد من المجانين ؟ "

" لا يمكننى التحقق من هذا " . إلا أن كلاى كان يظن هذا . فقد علم هذا من طريقة ركضه ، وكثرة تلفته خلفه وهو يركض . بل إنه وقبل أن ينعطف عند ناصية شارع لينكولن كاد يصطدم بصناديق الفاكهة المعروضة أمام محل خضراوات . ومع أن كلاى لم يكن يستطيع سماعه ، إلا أنه كان يرى شفتيه وهما تتحركان . " لقد ابتعد الآن " .

سأله توم : " هل هناك أحد غيره ؟ "

" ليس فى هذه اللحظة ، إلا أن هناك دخاناً " . ثم صمت قبل أن يضيف : " وهناك سخام ورماد أيضاً . ليس بوسعى تحديد كم كل هذا . فالرياح تقلبها فى الجو " .

قال توم : " حسناً . لقد اقتنعت الآن . لطالما كنت أتعلم ببطء إلا أننى أتعلم فى نهاية الأمر . سوف تحترق المدينة ولن يبقى بها سوى المجانين " .

قال كلاى : " أعتقد أنك محق فى هذا " . لم يكن يعتقد أن هذا سينطبق على بوسطن وحدها ، ولكن الوضع الآن لا يسمح له سوى بالاهتمام بأمر بوسطن . بوسعه أن يوسع من نطاق اهتمامه ولكن ليس قبل أن يطمئن أن ابنه جونى فى أمان . أو ربما ستبقى الصورة الكبيرة دوما خلفه . فهو فى نهاية الأمر لا يرسم سوى الأحياء . ولكن وبصرف النظر عن كل شيء ، فإن ذلك الأنانى القابع بداخل عقله وجد وقتاً ليرسل له بفكرة

واضحة . أتته بلونين (أزرق وذهبى براق داكن) . لماذا يحصل كل هذا اليوم بالذات ، من بين كل الأيام؟ وبعد أن وضعت قدمى على الطريق الصحيح ؟

سألته آليس : " هل يمكننى أن أرافقكم يا رجال . هذا إن ذهبتم ؟ " .

قال كلاى : " بالتأكيد " . ثم نظر إلى موظف الاستقبال وهو يضيف : " وبوسعك أنت كذلك . ريكاردى " .

قال ريكاردى : " علىَّ أن أبقى فى موقعى " . قالها بنبرة متعالية . ولكن عينيه فضحتا ما بداخله قبل أن ينجح فى إبعادهما عن عينى كلاى .

قال توم فى لهجة رقيقة بدأ كلاى يحبها فيه : " لا أعتقد أن الإدارة ستوبخك لأنك أغلقت المكان ورحلت عنه فى ظل هذه الظروف " .

إلا أن ريكاردى قال مجددا : " بل علىَّ أن أبقى فى موقعى . فقد خرج السيد " دونيللى " مدير وردية النهار لكى يودع مبالغ الظهيرة بالبنك وتركنى محله . ولو عاد فربما . . . " .

قال آليس : " أرجو أن تفهم يا سيد ريكاردى أن هناك خطورة عليك عند بقائك هنا " .

لكن ريكاردى الذى عاد من جديد ليعقد ذراعيه أمام صدره اكتفى بهز رأسه فى عناد .

١٥

قاموا بتنحية أحد المقاعد الكبيرة جانباً ، وفتح السيد ريكاردى الباب الأمامى لهم . أخذ كلاى يتطلع بالخارج . لم ير أحداً يتحرك فى أى اتجاه ، ولكن كان من الصعب أن يتأكد من

هذا لأن الهواء كان معبأ بالرماد الأسود . كان يتراقص وسط الرياح كثلج أسود .

قال : " هيا . . " . كانوا قد قرروا أن يتجهوا إلى المكان المجاور لهم كبداية ، وقد كان هذا مقهى ميتروبوليتان .

قال ريكاردى : " سوف أعاود غلق الباب ووضع المقعد فى مكانه من جديد ، ولكننى سأنصت إلى ما سيحدث . ولو صادفتكم مشاكل ولو كان هناك المزيد من هؤلاء الـ . . . الناس بداخل الميتروبوليتان . وكان عليكم أن تتراجعوا . فكل ما عليكم هو أن تصرخوا سيد ريكاردى . . سيد ريكاردى . . . نحن بحاجة إليك ! وعندها سأعلم أن من الممكن أن أفتح الباب . هل هذا مفهوم ؟ " .

قال كلاى : " نعم " . ثم ضغط على كتف ريكاردى النحيف . جفل الرجل ، ثم عاد لثباته (مع أنه لم يبد سعيداً وهم يودعونه) . " أنت بخير . لم أكن أظن أنك كذلك ، إلا أننى كنت مخطئاً " .

قال الأصلع فى ثبات : " أتمنى أن أبذل ما فى وسعى . تذكروا فقط . . . " .

قال توم : " سوف نتذكر . وسنبقى هناك ربما لعشر دقائق . ولو حدث خطب ما فسوف نصرخ لك " .

" حسنا " . قالها كلاى وهو لا يعتقد أن هذا سيحدث . فهو لا يعلم السبب فى هذا الظن ، فمن البديهى أن أى شخص يتعرض لخطر ما سوف يصرخ ، إلا أن كلاى كان يرى أن هذا لن يحدث معهم .

قالت آليس : " أرجو أن تغير رأيك ، سيد ريكاردى . فالوضع فى بوسطن غير مأمون . ولابد أنك تعلم هذا الآن " .

اكتفى ريكاردى بإطراقة من رأسه . وخطر لكلاى وقد اندهش لهذا الخاطر أنه بهذه الإطراقة قد جسد منظر الرجل الذى يرى أن المخاطرة بالموت أفضل من المخاطرة بالتغيير .

قال كلاى : " هيا بنا . دعونا نحضر بعض الشطائر منتهزين فرصة وجود كهرباء تمكننا من الرؤية " .

فقال توم : " كما أن بعض المياه المعدنية لن تضر أيضا " .

١٦

انقطعت الكهرباء وهم يغلفون آخر الشطائر بالمطبخ الأنيق الصغير بمقهى ميتروبوليتان . كان كلاى قد جرب أكثر من مرة أن يهاتف منطقة ماين : مرة لمنزله القديم ، ومرة لمدرسة كينت بوند الابتدائية ، حيث تعمل شارون مدرسة ، ومرة لمدرسة جوشوا تشامبرلاين المتوسطة ، حيث يدرس جونى . وفى كل المرات لم يستطع أن يتجاوز الخط الرئيسى لماين .

حينما انقطع التيار الكهربائى عن الميتروبوليتان ، صرخت آليس وسط ما بدا لكلاى وللوهلة الأولى ظلامًا دامسًا . ثم سرعان ما أضاءت مولدات الطوارئ المكان . لم تشعر آليس بكثير من الارتياح . كانت تتشبث بتوم بإحدى ذراعيها ، وبالذراع الأخرى تتشبث بسكين الخبز التى استخدمتها فى صنع الشطائر . وقد اتسعت عيناها عن آخرهما .

قال كلاى بنبرة خرجت أقسى مما كان يود : " آليس . . . نحى السكين جانبا . قبل أن تصيبى بها أحدنا " .

فقال توم بتلك النبرة المطمئنة : " أو أن تصيبى بها نفسك " . كانت نظارته تلمع تحت أضواء الطوارئ .

وضعتها على الطاولة ، ثم عادت تلتقطها من جديد وهى تقول : " بل أريدها . أريد أن آخذها معى . فأنت معك واحدة ، كلاى . وأنا أريد واحدة " .

فقال : " حسنا ، ولكنك لا ترتدين حزاماً . وسوف نصنع لك حزاماً من قماش الطاولة . وعليكِ من الآن فصاعداً أن تتحلى بالحذر " .

كانت نصف الشطائر مصنوعة من اللحم المشوى والجبن ، والنصف الآخر من اللحم البارد والجبن . غلفتها آليس بأغلفة قصديرية . ووجد كلاى أسفل ماكينة الحساب النقدى حزمة من الأكياس بنية اللون . وضع وتوم الشطائر فى كيسين منها . وفى الكيس الثالث وضعا ثلاث قنينات من المياه .

كانت الطاولات معدة لوجبات العشاء التى لن تقدم أبداً الآن . اثنتان أو ثلاث مقلوبة لكن معظمها كان مرتبا بأناقة ، تبرق كؤوسها وفضياتها تحت أضواء مصابيح الطوارئ بالجدران . خفق قلب كلاى لما أحسه فيها من انتظام هادئ . ونظافة مناديل الطاولات المطوية فى روعة ، والمصابيح الكهربية الصغيرة فوق كل طاولة . وقد أصبحت الآن مطفأة . وخطر له أنه سيمضى وقت طويل قبل أن تضيء من جديد .

رأى آليس وتوم يتطلعان فى المكان وقد ارتسم على محياهما نفس التعابير الكئيبة التى شعر بها ، وعندها انتابته رغبة ملحة فى أن يروح عنهما . تذكر حيلة اعتاد أن يلعبها مع ابنه . وتساءل مجدداً عن هاتف جونى المحمول وعندها عاوده الفزع . تمنى كلاى من كل قلبه أن يكون هذا الهاتف اللعين فى مكان ما بين لعب جونى منسيا ، وبطاريته فى طريقها إلى النفاد .

www.rewity.com
ARAYAHEENA

قال لهما وهو ينحى كيس الشطائر جانباً : " راقبا هذه فى عناية . وأرجو أن تلاحظا أن يدىَ لا تتحركان عن رسغى " . قالها وهو يمسك بطرف مفرش الطاولة .

فقال توم : " ليس هذا وقت مثل هذه الحيل " .

ولكن آليس بادرت تقول والابتسامة ترتسم على وجهها للمرة الأولى منذ أن لقياها : " بل أود أن أرى هذا " .

قال كلاى : " نحن بحاجة إلى مفرش الطاولة ، ولن يستغرق الأمر سوى ثانية ، كما أن سيدتنا تود أن ترى هذا " . ثم التفت إلى آليس قائلا : " ولكن عليك أن تنطقى بكلمة سحرية أولاً . . . شازام . . . مثلا " .

فقالت : " شازام ! " . وعندها سحب كلاى المفرش بكلتا يديه .

لم يكن قد فعلها منذ عامين أو ثلاثة أعوام ، وكادت الحيلة تفشل . ومع هذا ، فإن خطأه كان بسبب بعض التردد البسيط فى جذبه المفرش قد أضاف إلى جمال اللعبة السحرية . فبدلاً من أن تبقى فى مكانها أثناء جذب المفرش بهذه الطريقة السحرية ، فإن كل ما كان عليها قد تحرك قرابة أربع بوصات إلى اليمين . وكادت الكأس التى كانت بالقرب من وقفة كلاى تهْوى وقد صار نصف قاعدتها المستديرة على الطاولة والنصف الآخر بالهواء .

أخذت آليس تصفق وهى تضحك . فانحنى كلاى محيياً ملوحاً بيديه .

بينما سأله توم : " هلا رحلنا الآن . . . أيها العظيم فيرميشيلي ؟ " . ولكنه قالها وهو يبتسم . وبدت أسنانه الصغيرة لكلاى وهى تلمع تحت الضوء .

قال كلاى : " ما إن أنتهى من صنع حزام لها بهذه . سيكون بوسعها أن تحمل السكين فى جانب ، وكيس الشطائر فى الجانب الآخر . وبوسعك أن تحمل المياه " . أخذ يطوى المفرش

بشكل مثلث ، ثم أخذ يلفها فى سرعة حتى صنع حزاماً . مرر الحزام فى مقبض كيس الشطائر ، ثم لف المفرش حول خاصرة الفتاة النحيفة ، لفه حولها لفة ونصفاً قبل أن يربط العقدة خلفها حتى تكون متينة . انتهى بأن وضع السكين عند جانبها الأيمن .

قال توم : " ألم أقل لك إن لك يدين ماهرتين " .

قال كلاى : " لابد أن ينتفع المرء من يديه " . قبل أن يحدث انفجار آخر بالخارج ، وكان قريباً لدرجة أن المقهى قد ارتج بما فيه . وفقدت الكأس التى على حافة الطاولة اتزانها ، لتهوى على الأرضية ، وتتهشم . نظر ثلاثتهم إليها . وخطر لكلاى أن يقول لهما إنه لا يؤمن بالفأل . إلا أنه وجد أن هذا سيزيد الأمور سوءاً على سوء . بالإضافة إلى أنه كان بالفعل يؤمن بالفأل .

١٧

كان لدى كلاى أسبابه التى تدفعه إلى الرغبة فى العودة إلى فندق أطلانطيك قبل أن يرحلوا . ومن بينها أنه يريد أن يستعيد حقيبة رسوماته ، والتى تركها قابعة فى البهو . أما السبب الآخر فهو أن يجد غمداً أشد متانة لسكين آليس ، ورأى أن جراب أدوات حلاقة سيكون كافياً ، لو أنه طويل بما يكفى . والسبب الثالث ، هو أن يمنح ريكاردى فرصة أخرى كى ينضم إليهم . فقد اندهش من نفسه حينما وجد رغبة فى هذا تفوق رغبته فى استعادة حقيبة رسوماته التى نسيها . فقد نمَى لديه تعاطفاً مع الرجل .

حينما اعترفَ بهذا لتوم ، فاجأه حينما أومأ برأسه قائلاً : " هذا نفس شعورى تجاه شرائح بيتزا الأسماك . فأبقى أذكر

نفسى بأن هناك شيئاً غير مريح فى هذا الخليط من الجبن وصلصة الطماطم والسمك . . . إلا أن هذه الرغبة المخجلة فى تناولها أحياناً ما تتغلب على ولا يكون بوسعى كبتها " .

اندفعت فى الشارع عاصفة من السخام والرماد الأسود عبر الشارع وبين البنايات . ومعها انطلقت أجراس الإنذار فى السيارات ، وأجهزة الإنذار بالمتاجر ، والأخرى الخاصة بإنذار وجود حريق . لم يبد أن الجو حار . إلا أن كلاى سمع قرقعة النيران إلى الجنوب والشرق منهم . وكانت رائحة الحريق أقوى . سمعوا أصوات صياح ، إلا أنها كانت تأتى من ناحية الساحة العمومية ، حيث اتساع شارع بوليستون .

حينما اقتربا من فندق أطلانطيك ، ساعد توم كلاى على إزاحة أحد المقعدين من المدخل المهشم . وكان البهو من خلفه قد صار مليئاً بالرماد والذى غطى مكتب ومقعد السيد ريكاردى ؛ ولو لم يكن كلاى دخل إلى هنا من قبل . لما كان قد عرفهما بسبب كل هذا السخام الذى يغطيهما حتى صارا كظلين . وفوق المصعد كان مصباح الطوارىء يومض فى سرعة ، مع صوت أزيز يطن بالمكان .

نادى توم : " سيد ريكاردي ؟ . . . سيد ريكاردى ، لقد عدنا لنرى إن كنت قد غيرت رأيك أم لا " .

لم يأتهم جواب . وبعد دقيقة . بدأت آليس تطرق فى حرص على قطعة الزجاج التى بقيت معلقة بإطار النافذة .

عاد توم ينادى من جديد : " سيد ريكاردي ! " ، وحينما لم يأتهم رد ، التفت إلى كلاى قائلاً : " هل ستدخل إلى هناك ؟ "

" نعم . لأحضر حقيبتى . فبها كل رسوماتى " .

" أليس لديك نسخ منها ؟ "

قال كلاى بنبرة من يفسر كل شيء ، وكان هذا بالفعل يفسر فى نظره كل شيء : " هذه هى الأصلية " . كما أن هناك السيد

ريكاردى . ولابد من البحث عنه . فقد قال السيد ريكاردى قبل مغادرتهما إنه سيبقى أذناً مصغية .

سأله توم : " ماذا لو أن ذلك المجنون بالأعلى قد نال منه ؟ "

" لو أن هذا قد حدث ، لكنا قد وجدناه هنا بالأسفل . ولكان قد هرع إلينا ما إن سمع أصواتنا . وهو يهذى كذلك الرجل الذى حاول أن يطعننا عند الساحة العمومية " .

ردت آليس وهى تعض على شفتها السفلى : " أنت لا تعلم هذا . من المبكر أن تعرف كل شيء عنهم " .

كانت محقة بالطبع . إلا أنه لم يكن من الممكن لهم أن يبقوا فى هذا النقاش طويلاً . فليس هذا من الصواب .

قال وهو يضع ساقاً على أسفل النافذة : " سوف أتوخى الحذر " . كان الحيز ضيقاً إلا أن من الممكن العبور خلاله . " سوف أكتفى بالتطلع داخل مكتبه . ولو لم يكن هناك . فلن أبحث عنه فى كل مكان . بل سأجلب حقيبة رسوماتى ونرحل من هنا " .

قالت آليس : " لا تتوقف عن الكلام . . . حتى نطمئن عليك " .

" حسناً . ولكن عليكما أن ترحلا من هنا سريعاً لو توقفت عن الصياح . لا تأتيا خلفى " .

قالت من دون ابتسامة : " لا تقلق . لقد شاهدت كل أفلام الرعب . وأعلم ما علىّ أن أفعله عندها " .

ـ ١٨

صاح كلاى وهو يلتقط حقيبته ، ثم وضعها على مكتب الاستقبال : " أنا بخير " . رأى أنها بداية مطمئنة . ولكنها

ليست مطمئنة بما يكفي . نظر من فوق كتفه وهو يدور حول المكتب ليرى النافذة غير المسدودة وهي تومض . وتبدو وكأنها تطفو وسط هذا الجو الكئيب ، وظلين يقطعان آخر أضواء النهار . " أنا بخير . ما زلت بخير . وسأفحص المكتب الآن . ومازلت بخير . مازل . . . "

بادر توم بصوت يملؤه الحذر : " كلاى ؟ " . ولكن كلاى لم يرح عقله بإجابة . كان هناك صندوق إضاءة من منتصف السقف العالى بالمكتب الداخلى . والسيد ريكاردى معلق منه بما بدا أنه حبل ستارة . ويغطى رأسه كيس أبيض . حدس كلاى أنه من نوعية الأكياس التى يمنحها لك الفندق لتضع فيها ملابسك المتسخة ليتم إرسالها للتنظيف . " هل أنت بخير يا كلاى ؟ "

خرج صوت آليس هيستيريا وهي تنادى : " كلاى ! "

وجد نفسه يقول : " بخير " . خرجت الكلمة دون سيطرة منه . " مازلت هنا " . كان يفكر فى تعبير وجه ريكاردى وهو يقول سأبقى فى موقعى . كانت الكلمات حازمة . إلا أن عينيه كانتا فزعتين . مثل عينى سنجاب صغير يحاصره كلب غاضب فى ركن مرآب . " سأخرج الآن " .

تراجع . كأنما سيسقط ريكاردى من مكانه ليتبعه بمجرد أن يستدير هو خارجا . انتابه بغتة شعور طاغ بالخوف على شارون وجوني؛ وشعر بالحنين إلى منزله حتى أنه عاد بالذكريات إلى أول أيام مدرسته . وأمه تتركه عند بوابة ملعب المدرسة . بينما يقوم الآباء الآخرون باصطحاب أبنائهم إلى الداخل . لكن أمه تقول له : كل ما عليك هو أن تدخل إلى هناك . كلايتون عند هذه الغرفة الأولى . على الأولاد أن يعتمدوا على أنفسهم فى هذا . راقبها وهى تبتعد فى شارع سيدار . قبل أن يقوم بما أخبرته أن يقوم به . ذاك المعطف

الأزرق . وهو الآن يقف وسط هذا الظلام . يستعيد كل هذه الذكريات التى زادت حنينه إلى موطنه .

لا بأس بوجود توم وآليس . إلا أنه كان يتوق إلى من يحبهم .

حينما دار حول مكتب الاستقبال . واجه الشارع وعبر البهو . اقترب بما يكفى من النافذة الطويلة المهشمة ليرى وجهى صديقيه الفزعين . ثم تذكر حقيبته اللعينة مرة أخرى فكان عليه أن يعود إليها . هرع إليها . وهو يكاد يتيقن من أن يد ريكاردى سوف تمتد عبر الظلام من خلف المكتب لتمسك به . إلا أن هذا لم يحدث . ولكنه سمع صوت ارتطام آخر من فوقه . لا يزال هناك شيء ما . شيء لا يزال يتخبط فى الظلام . شيء كان بشريا حتى الساعة الثالثة من ظهيرة هذا اليوم .

هذه المرة . وحينما كان فى منتصف الطريق إلى الباب . ارتجف ضوء بطارية الطوارئ الوحيدة بالبهو . قبل أن تنطفئ . كان مصباح الإنذار ينذر بوجود حريق .

ناول حقيبته إلى توم .

سألته آليس : " أين هو ؟ . . . ألم يكن هناك؟ "

قال كلاى : " لقد لقى مصرعه " . خطر له أن يكذب . إلا أنه عجز عن هذا . فقد كان فى غاية الصدمة مما رآه . كيف يمكن لرجل أن يشنق نفسه هكذا ؟ لم يجد إمكانية لأن يفعل المرء هذا . " انتحر " .

انهارت آليس باكية . وخطر لكلاى أنها لم تعلم أنها على قيد الحياة حتى الآن بقرار من ريكاردى . إلا أنه لم يكن يشعر برغبة ملحة فى البكاء بدوره . فربما قام الكل بما فعله ريكاردى لو أن الفرصة قد واتتهم .

من جهة الغرب ناحية الشارع المظلم . نحو الساحة العمومية . أتاهم صوت صرخة بدت أعظم من أن تكون صادرة

www.rewity.com ^ARAYAHEEN^

مالدين

عن رنتى بشر . بدت لكلاى أشبه بأصوات الفيلة . لم يكن بها ألم ، أو بهجة . لم يكن هناك سوى الجنون . التصقت به آليس فى فزع ، ولف هو ذراعه حولها . كان شعوره بجسدها أشبه بشعوره بسلك كهربائى يمر به تيار قوى .

قال توم : " لو كان مقدرًا لنا أن نخرج من هنا ، فعلينا أن نقوم بهذا الآن . ولو لم يصادفنا الكثير من المشكلات ، فسوف يمكننا أن نصل شمالاً حتى مايدين ، لنقضى الليل بمسكنى " .

قال كلاى : " هذه فكرة جيدة " .

ابتسم توم فى حذر : " أتعتقد هذا حقاً ؟ "

" بل متيقن من هذا . فمن يعرف فربما كان الضابط آشلاند هناك بالفعل " .

سألت آليس : " ومن هو الضابط آشلاند هذا؟ "

قال توم : " إنه شرطى قابلناه عند الساحة العمومية . وقد . . . ساعدنا " . سار ثلاثتهم نحو ساحة أطلانطيك . خلال الرماد الهابط ووسط أصوات الإنذار . " لن نراه . لقد كان كلاى يمزح " .

قالت : " أوه . . . كم أنا سعيدة لأن هناك من يحاول هذا على الأقل " . كان هناك هاتف محمول أزرق ملقى على الرصيف وقد تحطم غطاؤه . ركلته آليس ليسقط فى بالوعة الصرف من دون حتى أن تنظر إليه .

قال كلاى : " ركلة جيدة " .

هزت آليس كتفيها وهى تقول : " لقد مارست كرة القدم لخمس سنوات " ، ومع كلماتها أضاءت مصابيح الشارع ، وكأنها تمنحها ثقة لم تفقدها بعد .

١

وقف آلاف البشر عند جسر نهر ميستيك يراقبون النيران التي اشتعلت في كل شيء واقع بين منطقة الساحة العمومية وميناء بوسطن . بقيت الرياح التى تهب من جهة الغرب سريعة دافئة حتى بعد غروب الشمس بسبب ارتفاع ألسنة النيران وكأنه الجحيم يكابد للصعود إلى عنان السماء . كان القمر بدرا وإن بدا الليلة قبيح المنظر . كان الدخان يغطيه أحياناً . إلا أنه فى أغلب الأوقات يتبدى بعين التنين القبيح التى تحدق فى كل ما فى الأسفل . وهو يلقى بنور برتقالى مشوش . خيل لكلاى أنه كذاك القمر الذى يراه في القصص المصورة . إلا أنه لم ينطق بهذه الفكرة .

لم يجد أحد ما يمكن أن يقال . اكتفى الواقفون على الجسر بالنظر إلى المدينة التى غادروها للتو . يراقبون النيران وهى تصل إلى البنايات الفخمة المطلة على الميناء وتبدأ فى التهامها . وعبر المياه أتتهم أصوات متمازجة لأجراس الإنذار : إنذار الحريق وأصوات الإنذار الصادرة عن السيارات . مع الكثير من أصوات أجراس عربات الشرطة والمطافئ والإسعاف . وأخذ صوت صادر عبر مكبر يرشد المواطنين إلى أن " انزلوا إلى الشوارع " . ثم آخر ينصحهم : " غادروا المدينة سيراً على الأقدام عبر الطرق الرئيسية غرباً وشمالاً " . ظلت هاتان النصيحتان المتضاربتان تترددان لبضع دقائق . ثم توقفت

النصيحة الخاصة بالنزول إلى الشوارع . وبعد خمس دقائق توقفت النصيحة الأخرى بمغادرة المدينة سيراً على الأقدام . لم يبق سوى زئير النيران الجائعة التى تدفعها الرياح ، وأجراس الإنذار ، وصوت خفيض منتظم كالدمدمة ظنه كلاى صوت تهشم النوافذ بسبب الحرارة الهائلة .

تساءل عن عدد البشر المحبوسين هناك . ما بين النار والماء .

قال توم : " أتذكر أننى قد سألت نفسى ذات مرة عما قد يحدث لو أن مدينة حديثة قد احترقت ؟ " . بدا وجهه الصغير الذكى وسط أضواء النيران متعباً واهناً . على خديه آثار رماد . " أتذكرون شيئا كهذا ؟ " .

فقالت آليس : " اصمت وهيا بنا " . كان من الواضح أنها مذهولة . ولكنها تحدثت مثل توم بصوت خفيض . خطر لكلاى وكأنهم وسط مكتبة كبيرة ... لا بل قاعة جنائزية . " هلا ابتعدنا بالله عليكم ... فما أراه يحطم أعصابى " .

قال كلاى : " بالتأكيد . ما هى المسافة الباقية حتى مسكنك ، توم ؟ "

" أقل من ميلين من هنا . إلا أننى آسف لقولى بأن المسافة إلى هناك هى ليست كل الصعوبة التى علينا مواجهتها " . التفتوا ناحية الشمال ، حيث أشار جهة اليمين . فى العادة ما تكون تلك المنطقة مغطاة بقوس من الأنوار البرتقالية ليلاً حتى وإن كان الجو غائماً ، أما الآن فقد كانت الليلة صحواً إلا أن الأنوار منطفأة . وعلى كل . فإن أنوار الشوارع لم يمكنها أن تكشف لهم عن أعمدة الدخان المتصاعدة هناك .

تأوهت آليس فى ألم ، ثم سرعان ما غطت فمها وكأنها تخشى شخصا قد يخرج من بين هذا الحشد الصامت المشدوه بما يراه كى يوبخها لقطعها هذا الصمت .

قال توم فى هدوء مريب : " لا تقلقا . سوف نذهب إلى مالدين . فحسبما نرى من اتجاه الرياح فإن من المحتمل ألا تكون هناك حرائق فى مالدين " .

تمنى كلاى فى عقله بأن يقف توم فى كلامه عند هذه العبارة ، إلا أن توم لم يكن ليصمت عند هذا الحد : " أقصد ليس بها حرائق ... حتى الآن بالطبع " .

٢

عشرات من السيارات التى تركها أصحابها ، وعربة إطفاء خضراء اللون تبين أنها تتبع شرق بوسطن وقد انقلبت على جانبها بعد اصطدام عربة نقل أسمنت بها وكلتاهما خاويتان من البشر ، إلا أن البشر كانوا هم الأغلبية فى هذا المستوى من الجسر . بل إن المرء يمكن أن يطلق عليهم الآن وصف اللاجئين . وهذا هو ما خطر لكلاى . وسرعان ما أدرك أنهم لا يختلفون عنهم فى شيء فإنهم لاجئون كما تصفهم الحكومة .

مازال الكلام قليلا . الغالبية يقفون فى صمت يراقبون المدينة وهى تحترق . سار من سار فى بطء ، وهم يلتفتون خلفهم بين الحين والآخر . وما إن وصلوا إلى قرب الطرف الآخر من الجسر (حيث أمكنه أن يرى الضفة الحديدية القديمة أو كما أسماها هو كذلك والمتصلة بالميناء . وكانت فى منأى حتى الآن من الحرائق) ، حتى لاحظ شيئا غريبا . كان الكثير منهم ينظرون أيضا إلى آليس . خيل إليه فى البداية أنهم يعتقدون أنه وتوم قد اختطفا الفتاة لسبب لا أخلاقى لا يعلمه إلا الله . ثم سرعان ما ذكر نفسه أن هؤلاء السائرين على جسر ميستيك مصدومون ، وقد اجتثوا من حياتهم العادية اجتثاثا وكأنهم لاجئو إعصار كاترينا ، والذين وجدوا من ينبههم قبلها بفترة قصيرة ـ ومن

المستبعد أن يفكر هؤلاء المصدومون الذين يراهم الآن من حوله فى مثل هذه الأفكار الآن . فكل منهم مستغرق فى همومه الشخصية . ارتفع البدر بعض الشيء فى السماء وسطع نوره بشكل أقوى . وفهم هو سبب تلك النظرات . فقد كانت آليس المراهقة الوحيدة بين كل هذا الحشد . بل إن كلاى نفسه كان صغير السن مقارنة بهم . فأغلب من كانوا يحدقون فى النيران التى التهمت ما كانت تسمى بوسطن أو يزحفون ببطء نحو مالدين ودانفيرز قد تعدوا سن الأربعين . بل إن بعضهم يفوق هذا بكثير . رأى بعضهم ومعه صغار . وكان هناك رضع . إلا أن هؤلاء كانوا يمثلون القلة من صغار السن .

لاحظ شيئاً آخر على البعد من هذا . فقد كانت هناك هواتف محمولة ملقاة فى إهمال على الطريق . يرى واحداً مع كل بضع خطوات . وجميعها محطم . وقد خرجت أحشاؤها فبدت أشبه بثعابين خطرة هرستها الأقدام قبل أن تلدغ من جديد .

٣

سألته امرأة بدينة ، جاءتهم تقترب من الجهة الأخرى من الطريق السريع : " ما اسمك ، يا عزيزى ؟ " . كان هذا بعد خمس دقائق من مغادرتهم الجسر . قال توم بأنهم سوف يصلون بعد خمس عشرة دقيقة أخرى إلى مخرج شارع سالم . ومن هناك سوف يصبحون على بعد أربع بنايات من مسكنه . أخبرهم بأن قطته ستكون فى غاية الفرح لرؤيته . وهو ما رسم ابتسامة مرهقة على وجه آليس . رأى كلاى أنها كانت أفضل من لا شيء .

نظرت آليس بشك إلى البدينة التى نأت بنفسها عن المجموعة الصامتة وطوابير الرجال والنساء الذين كانوا أقرب

إلى ظلال . بعضها يحمل حقائب . والبعض الآخر يحمل أكياس تسوق أو يحملون على أظهرهم حقائب ترحال الذين عبروا الجسر متوجهين شمالاً نحو الطريق السريع رقم واحد . بعيداً عن النيران الكبرى وإلى الجنوب وهم مدركون تماماً للنيران الأخرى التى أحاطت بمنطقة ريفيرى . فى الشمال الشرقى .

نظرت إليها البدينة فى عذوبة . كانت تصفف شعرها الأشيب مجعداً . وترتدى نظارة أشبه بعينى قطة ورداءً كانت تصفه أم كلاى بأنه " غطاء سيارة " . حملت فى يدها كيس تسوق . وحملت فى اليد الأخرى كتاباً . بدت لهم مسالمة . فمن المؤكد أنها ليست من بين مجانين الهاتف وهم لم يروا أياً منهم منذ أن فارقوا الفندق ومعهم أكياسهم . لكن كلاى شعر بكثير من القلق . فمن غير الطبيعى أن يقترب منك أحدهم وكأنه يتعرف على ضيوف فى حفل شاى وليس وسط حشد فار من مدينة تحترق . ولكن ما الذى بيده أن يفعله فى ظل ظروف كهذه؟ وهو ليس وحده فى ذلك . فقد وجد أن توم كان بدوره يكتفى بالتحديق فيها . تلك المرأة البدينة والتى تحمل عيناها نظرة أم .

فى النهاية قالت آليس بعد أن ظن كلاى أنها لن تنطق أبداً : " آليس " . بدت كصبية تحاول أن تجيب عن ما تخشى أنها مجرد أحجية صعبة . " اسمى هو آليس ماكسويل " .

قالت البدينة وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة أم تضاهى فى عذوبتها نظرات عينيها : " آليس " . لم يكن هناك سبب يدفع كلاى إلى الحذر من هذه الابتسامة بالقدر الذى هو عليه الآن . " كم هو اسم جميل . إنه يعنى التى باركها الرب " .

رد توم : " بل يعنى . سيدتى . المولودة الملكية ... والآن .. هلا سمحت لنا بالمضي؟ لقد فقدت الفتاة أمها اليوم ، و ... " .

قالت البدينة دون أن تنظر إلى توم : " كل منا قد فقد عزيزاً

www.rewity.com ^ARAYAHEEN^

لديه اليوم ، أليس كذلك آليس؟ " . كانت تسير بنفس سرعة خطى آليس ، وشعرها المجعد يتأرجح مع خطواتها . كانت آليس تحدق فيها بنظرة هى مزيج من الدهشة وعدم الارتياح . كان الناس يجتازون من حولهم وهم مطرقو الرؤوس ، أقرب إلى الأشباح وسط هذه العتمة الاستثنائية ، ولم يجد كلاى حتى الآن صغير سن سوى بعض الرضع ، والأطفال ، وآليس . لم يكن هناك مراهقون لأن لدى معظمهم هواتف محمولة ، مثلهم مثل بيكسى الشقراء . أو مثل ابنه ، والذى لديه هاتف أحمر من طراز نيكستيل بنغمة من موسيقى فرقة نادى الوحوش وأم تعمل معلمة وقد تكون معه الآن أو فى أى مكان ...

توقف عن هذه الأفكار ، لا تدعها تستغرق تفكيرك . فهى تضر ولا تنفع .

لم تتوقف البدينة عن الهرولة جانبهم . " بالفعل ، جميعنا فقد أحداً ، فكأنه يوم القيامة " . ورفعت الكتاب الذى كانت تحمله لأعلى ، وكان هذا الكتاب كتابًا دينيًا ، وخيل لكلاى أنه رأى لمعة فى عينى البدينة خلف نظارتها . لم تكن لمعة اهتمام؛ بل لمعة جنون .

قال توم : " هكذا إذن ... فلقد خرج جميعنا من الأجداث إذن " . أحس كلاى فى نبرته مزيجًا من الامتعاض (فيما يبدو من نفسه ، لسماحه للبدينة بأن تقترب منه إلى هذا الحد) .

لم تلحظ البدينة كل هذا بالطبع؛ فقد كانت نظراتها مثبتة على آليس ، ومن يمكنه أن يبعدها عنها؟ كانوا سيستنجدون بالشرطة لو كانت موجودة . لم يكن هناك سوى لاجئين مصدومين ، ولم يكونوا يهتمون بأمر سيدة عجوز مجنونة بيدها كتاب دينى وفوق رأسها شعر مجعد .

صاحت البدينة بغتة : " لقد انسكبت قارورة الجنون فى أمخاخ الأشرار ، وأضرمت النيران فى مدينة الآثام

لتطهيرها ! " . كانت تضع أحمر شفاه ، وكشف فمها عن طاقم أسنان قديم . " وترون الآن الذين لم يتوبوا بعد وهم يفرون ، حقاً ، كما يفر الدود من أحشاء الـ ... "

وضعت آليس يديها على أذنيها وهى تصيح وسط الأشباح المارة من حولها : " دعوها تصمت ! " . والبعض منهم فقط هو الذى اهتم بإلقاء نظرة لامبالية قبل أن يلتفت مرة أخرى نحو الظلام حيث تقع نيو هامبشاير فى مكان ما .

بدأت البدينة تندمج فيما هى عليه . الكتاب الدينى مرفوع ، والوجه يتصبب عرقاً ، والعينان تلمعان ، والشعر يتطاير . " أخفضى يديك ، أيتها الفتاة ، واسمعى وأعلنى توبتك قبل أن تسمحى لهذين الرجلين أن يبتعدا بكِ ليصلا بكِ إلى أبواب الجحيم " !

هنا لم يسع كلاى سوى أن يلكمها . حاول فى الثانية الأخيرة أن يخفف من قوة اللكمة ، إلا أنها هوت قوية على فكها ، وشعر برجع صداها حتى كتفه . وارتفعت نظارة البدينة عن أنفها قبل أن تعود لتستقر عليه من جديد . ومن خلفها فقدت عيناها بريقهما ودارتا فى محجريهما . وسرعان ما عجزت ركبتاها عن حملها فخارتا ، والكتاب الدينى يكاد ينفلت من قبضتها . إلا أن آليس التى لم يغادر الفزع والدهشة عينيها أبعدت يديها عن أذنيها وهى تحاول أن تلتقط الكتاب قبل أن يسقط . بينما أحاطت ذراعا توم بالمرأة حتى لا تسقط . كان هناك تناسق زمنى بين اللكمة وما تلاها من حركتين .

كان كلاى أقرب من أى وقت مضى لأن يفقد عقله . لماذا كان هذا أسوأ من منظر تلك الفتاة التى غرست أسنانها فى عنق المرأة أو رجل الأعمال الذى طعن الناس بسكينه ، وأسوأ من منظر ريكاردى وجسده معلق بالسقف وقد غطى كيس رأسه . لم يكن يعرف سبب هذا الإحساس ، إلا أنه كان يخامره . فهو قد ركل

ذلك الرجل صاحب السكين . كما ركله توم كذلك . إلا أن ذلك الرجل كان مجنوناً من نوع مختلف . أما هذه العجوز البدينة فلم تكن سوى ...

قال : " يا إلهي ... لم تكن سوى سيدة مذعورة . وقد لكمتها بكل قسوة " . كان جسده يرتجف .

قال توم بنبرة أدرك كلاى أنها لم تكن تلك النبرة الهادئة بل كانت فى غاية البرودة : " لقد كانت تخيف فتاة صغيرة فقدت أمها اليوم ... وقد فعلت الشيء السليم . لم تكن لتحتمل كل هذا طويلا . فقد كانت تضايقنا . فساعدنى على أن ننحيها إلى جانب الطريق " .

٤

وصلوا إلى بداية الطريق رقم واحد . أحيانا ما يسمونه " الميل المعجزة " . وأحيانا " حارة الفساد " حيث يؤدى الطريق السريع محدود الدخول إلى كثير من الحانات . ومتاجر تبيع الملابس الرخيصة . وأخرى للمستلزمات الرياضية . والكثير من المطاعم . كانت حارات الطريق الست مزدحمة . بل تغص بالبشر والسيارات المحطمة أو التى تركها أصحابها بعد أن استعانوا بهواتفهم المحمولة فجن جنونهم . سار الفارون بين الحطام . وخيل لكلاى أنهم أشبه بنمل يفر بعيداً عن خطى حذاء ثقيل .

كانت هناك لافتة فسفورية خضراء عند حافة بناية خفيضة وردية اللون تقول : مخرج شارع " مالدين سالم " على بعد ربع ميل . كانت البناية قد تهدمت ولم يبق سوى الزجاج المهشم وصوت متداع لجهاز إنذار يلفظ أنفاسه الأخيرة . كان كل ما يحتاجه كلاى هو نظرة إلى اللافتة المعتمة حتى يعلم السبب فى

أن تلك البناية كانت هدفاً لكل من فر من كارثة النهار . أكبر تخفيض يقدمه " ميستر بيج " على جميع أنواع الشراب .

كان يمسك بذراع البدينة . بينما حمل توم الذراع الأخرى . بينما تسند آليس رأس المرأة فاقدة الوعى وهم يضعونها فى وضعية الجلوس وظهرها مستند إلى عمود لافتة الطريق . وحينما انتهوا وجدوها تفتح عينيها وتنظر إليهم مشدوهة .

طرقع توم أصابعه أمام عينيها . مرتين . رمشت . ثم التفتت إلى كلاى . قالت : " أنت ... لكمتنى " . رفعت أصابعها لتلامس الكدمة التي تورمت على فكها .

بادر كلاى قائلا : " أجل . وأنا آسف ... "

فقال توم : " ربما يكون هو آسفاً . أما أنا فلا " . كان يتحدث بنفس النبرة الباردة . " فلقد كنت تفزعيننا " .

ضحكت البدينة فى رقة . إلا أن الدموع كانت بمقلتيها .

" ... كما لو كنت لا أعرف ما يريد رجلان مثلكما أن يفعلاه بفتاة رقيقة مثلها . وخاصة فى وقت كهذا . لم يندموا على ما اقترفوه من فواحش . ولا آثام . ولا ... " .

فقال توم : " اخرسى ... وإلا لكمتك أنا هذه المرة . وأنا لست كصديقى الذى أراه محظوظا لكونه لم يدرك حقيقتك . فأنا لن أخفف من قوة لكمتى . وهذا تحذير فلو صدرت منك كلمة أخرى " . قالها وكور قبضته أمام عينيها . ومع أن كلاى قد استنتج بالفعل أن توم رجل مثقف ومتحضر وهو ليس بمن يلكم أحداً فى ظل ظروف عادية . فلم يسعه سوى أن يشعر بالفزع لمرأى تلك القبضة الصغيرة . وكأنما ينظر إلى طالع العصر القادم .

حدقت فيه البدينة ولم تنبس ببنت شفة . وسالت دمعة كبيرة فوق خدها المتجعد .

فقالت آليس : " هذا يكفى . توم . فأنا بخير " .

www.rewity.com
ARAYAHEENA

أسقط توم كيس التسوق الخاص بالبدينة فى حجرها . لم يدرك كلاى حتى أنه كان قد أنقذ هذا الكيس . ثم تناول توم الكتاب الدينى من آليس ، والتقط يد البدينة ووضع فيها الكتاب بقوة . ثم هم بالابتعاد . قبل أن يعود ليلتفت .

قال كلاى : " توم ، هذا يكفى ، هيا بنا " .

تجاهله توم . ثم مال نحو المرأة التى تجلس مستندة إلى عمود اللافتة . كانت يداه على ركبتيه ، وبدا لكلاى أن كليهما - المرأة البدينة التى تحدق فى الرجل القصير الذى يميل عليها وقد أسند يديه على ركبتيه - أشبه بشخصيتين مصورتين بفن المحاكاة الساخر بين صفحات رواية لتشارلز ديكنز .

قال توم : " سأوجه إليكِ نصيحة واحدة ، أختاه . لم تعد هناك شرطة لتحميكِ كما اعتدت أنتِ ورفيقاتك من مدعى الصلاح وأنتن تدلفن إلى مراكز تنظيم الأسرة أو إلى عيادة إيميلى كاثكارت فى ولثام ... " .

ردت فى مقت وهى ترفع الكتاب الدينى وكأنه يحميها : " مستنقع الإجهاض ذلك ! " .

لم يلكمها توم لكنه كان يبتسم فى تجهم : " أنا جاهل بقارورة الجنون تلك ، إلا أن هناك بالتأكيد الكثير من المجانين فى هذه الليلة . هلا أوضحت أكثر؟ لقد فرت الأسود من أقفاصها ، وربما تعلمين بأنهم سينقضون على أمثالك أولاً . فقد انتهت حرية التعبير منذ الثالثة عصر هذا اليوم . هذه نصيحة منى " . رمق بعينيه كلاى وآليس ، ورأى كلاى شفته العليا أسفل الشارب ترتجف قليلاً . " هلا ذهبنا؟ "

فقال كلاى : " بالتأكيد " .

ما إن ساروا نحو شارع مالدين سالم ، ومروا على مقهى ميستر بيج حتى صاحت آليس : " هل تربيت متشددة مثل تلك المرأة ؟ "

رد توم : " لقد كانت أمى وكذلك أختى فى مثل هذا التشدد " .

سأله كلاى : " وأين هى أمك الآن ؟ " .

رمقه توم وهو يرد : " لقد توفيت ، ولكنى لست مثل تشددها " .

٥

بالقرب من علامة التوقف عند علية الشارع وجدوا رجلين يتشاجران بالقرب من مقهى . كان الرجلان زنجيين يتبادلان اللكمات وقد نزف كل منهما وقد بدا أنهما يتشاجران على صندوق به طعام .. احتمت آليس بكلاى ، فأحاط كلاى جسدها بذراعه . إلا أنه كان فى مشهد العراك هذا شيء من الطمأنينة . فقد كانا غاضبين ، إلا أنهما لم يكونا مجنونين . وليسا مثل أولئك الذين بالمدينة .

كان أحدهما أصلع ويرتدى سترة نادى سيلتيك . لكم الآخر لكمة قوية هرست شفتيه وأسقطته أرضاً . وحينما هم الرجل ذو السترة بالانقضاض على الساقط أرضاً . راوغه الرجل ، ثم نهض وهو يتراجع . بصق دماً . وأخذ يصرخ بلهجة أهل بوسطن : " خذه أيها الوغد! أتمنى أن تأكله حتى الموت! " .

بدا أن الرجل ذا السترة الرياضية سيهجم عليه . وفر الآخر ركضاً نحو الطريق رقم واحد . هم الرجل ذو السترة بأن يلتقط غنيمته ، إلا أنه انتبه لوجود كلاى وآليس وتوم . فاعتدل من جديد . كانوا ثلاثة أمام واحد ، كانت هناك كدمة على إحدى عينيه ، والدم ينزف على جانب وجهه من جرح غائر فى شحمة أذنه ، لكن كلاى لم ير خوفا على وجهه ، بالرغم من العتمة التى لا يقطعها سوى ضوء النيران البعيدة عند نهر

ريفيرى .

سألهم : " ما الذى تنظرون إليه بحق الجحيم ؟ "

قال توم بنبرة محايدة : " لاشيء . كنا نمر بك فقط . لو لم يكن لديك مانع . فأنا أعيش فى شارع سالم " .

قال الأصلع : " اذهبوا إلى شارع سالم أو إلى الجحيم . فلا يهمنى هذا . ألسنا فى بلد حر . أليس كذلك؟ "

رد كلاى : " بل هو حر للغاية ... هذه الليلة بالذات " .

أخذ يفكر فى هذه الكلمات . ثم أطلق ضحكة مريرة : " ماذا عن كل هذا الذى حدث؟ هل من سبب له؟ "

قالت آليس : " السبب هو الهاتف الخلوى . فقد تسبب فى جنون الناس " .

التقط الأصلع صندوق الطعام . حمله فى يسر . قال : " تبا ... إننى لم أفكر أبدا فى امتلاك أحد هذه الهواتف اللعينة " .

لم يكن لدى أى منهم رغبة فى استمرار الحوار معه . وربما كانت هذه فكرة جيدة . فقد ارتأى كلاى أن هذا الأصلع يحمل صفات تجعله أشبه بقنبلة لم تنفجر بعد .

سألهم الأصلع : " المدينة تحترق ؟ أليس كذلك ؟ "

رد كلاى : " بلى . ولا أعتقد أن السيلتيك سيلعبون فوق أرض ملعب فليت هذا العام " .

" إنهم فريق حثالة على أية حال . فمدربهم دوك ريفرز لا يستحق حتى أن يدرب فريقا من الطلبة الهواة " . وقف يراقبهم . والصندوق على كتفه . والدم ينزف على جانب وجهه . على أنه بدا هادئا عن ذى قبل . قال : " تابعوا سيركم . إلا أننى لن أبقى قريبا من هذه المدينة لمدة طويلة . فالأمور ستزداد سوءا . وستكون هناك المزيد من الحرائق . أتعتقدون أن كل هؤلاء الفارين إلى الشمال قد تذكروا أن يغلقوا

محابس الغاز؟ هذا ما أشك فيه " .

بدأ ثلاثتهم فى السير . ثم توقفت آليس . وهى تشير إلى الصندوق وتقول له : " أكان هذا ملك لك ؟ "

نظر إليها الأصلع متأملا : " لا أحد يسأل سؤالا كهذا فى مثل هذه الظروف . حلوتى . لم يبق شيء . الكل يعيش الآن وربما الغد . وهو ملكى الآن . وقد يبقى ملكا غدا ... هيا ابتعدى عن هنا " .

قال كلاى وهو يلوح بيده : " إلى اللقاء " .

رد الأصلع من دون أن يبتسم . إلا أنه لوح بيده قائلا : " لا أعتقد أنى أود لقاءكم ثانية " . مرا على علامة التوقف وكانا يعبران الجانب البعيد مما خمن كلاى أنه شارع سالم حينما نادى الأصلع عليهم ثانية : " هاى ... أيها الوسيم ! "

التفت إليه كل من كلاى وتوم . ثم رمقا بعضهما البعض فى دهشة . لم يكونا يريان الآن سوى شبح بعيد عند أعلى العلية، فبدا لهما أقرب إلى رجل كهف يحمل هراوته .

سألهما الأصلع : " أين المجانين الآن ؟ لا تقولا لى إنهم قد لقوا مصرعهم جميعا . أليس كذلك ؟ فأنا لن أصدق هذا " .

قال كلاى : " هذا سؤال وجيه "

" عليكما بحماية تلك الجميلة التى معكما إذن " . ومن دون أن ينتظر ردا منهم دار على عقبيه واختفى وسط الظلام .

٦

ما إن مضت عشر دقائق من السير حتى قال توم : " ها نحن ذا " . ومع كلماته بزغ القمر من خلف غمامة سوداء كانت تعتمه طيلة الساعة الماضية . كما لو أن كلمات هذا القصير ذى الشارب هى المفتاح السحرى لظهوره . سقط نوره الذى صار فضيا

الآن وليس ذاك البرتقالى الغريب على منزل كان لونه إما أزرق داكنا أو أخضر أو ربما رماديًا ؛ فليس هناك ضوء بالشارع يبين يقينا لونه الحقيقى . إلا أن ما تيقن منه كلاى هو أن المنزل جميل أنيق . ولكنه ليس بالحجم الذى يخيل لمن يراه أول مرة . حيث إن نور القمر كان يمنحه حجما كبيرا خداعا ، بالإضافة إلى العتبات التى كانت ترتفع من حديقة توم الأنيقة وحتى السقيفة عند الشارع .

قالت آليس بصوت مبحوح : " أوه ... توم ... كم هو جميل ! " . بدا لكلاى أنها مرهقة وتكاد تصل إلى حافة الهيستيريا . فهو لم ير فيه جمالا ، ولكن من المؤكد أنه بدا منزلا لرجل امتلك هاتفا محمولا وجميع الأجهزة الحديثة بالقرن الحادى والعشرين . وكذلك كان حال بقية المنازل فى هذه البقعة من شارع سالم . وكان كلاى يشك فى أن هناك كثيرين ممن صادفوا مثل حظ توم الحسن هذا اليوم . فأخذ يتلفت حوله فى عصبية . كانت جميع المنازل معتمة فلا كهرباء هناك وقد تكون مهجورة . لكنه كان يشعر بأن هناك أعينًا تراقبهم .

أعين المجانين ؟ مجانين الهاتف ؟ تذكر عندها السيدة ذات البذلة وبيكسى الشقراء ؛ والمجنون ممزق الملابس ؛ وذلك الذى قضم أذن الكلب . والعارى الذى كان يحمل هوائيى سيارة وهو يركض مذعورا . كلا ... فليست المراقبة من أساليب مجانين الهاتف . فهم يهجمون عليك من فورهم . ولكن إن كان من بتلك المنازل من الأناس الطبيعيين أو بعضهم فقط فأين ذهب مجانين الهاتف ؟

هذا ما بعث الحيرة فى عقل كلاى .

قال توم : " لا أعلم إن كان من الممكن أن أصفه أنا بالجميل ، إلا أنه لا يزال قائما ، وهذا يكفينى . فقد كنت قد أعددت نفسى لأن نصل إلى هنا فنجد حطاما محترقا " . أخرج

من جيبه سلسلة مفاتيح صغيرة . " هيا لندخل . واغفروا لى تواضع المكان " .

صعدوا الممشى ولم يسيروا حتى بضع خطوات حينما صرخت آليس : " انتظرا ! " .

التفت كلاى فى سرعة ، بكل ما فيه من توتر وإرهاق . كان فى أمس الحاجة إلى الراحة . حتى أنه شعر أن مخزون الإدرينالين قد نفد . إلا أنه لم يجد أحدا هناك . ليس هناك مجانين هاتف ، ولا رجل أصلع يتدفق الدم على جانب وجهه من جرح غائر فى أذنه . ولا سيدة عجوز تهذى بكلام عن يوم القيامة . لم يكن هناك سوى آليس . وقد جثت على إحدى ركبتيها عند بداية المشى .

سألها توم : " ما الخطب ، عزيزتى ؟ " .

نهضت . ورآها كلاى تحمل حذاءً رياضياً بالغ الصغر .

قالت : " إنه حذاء لرضيع ... فهل ... " .

هز توم رأسه نافيا : " كلا ... أنا أعيش وحدى . أنا والقط رافى . وهو يعتقد نفسه الملك المتوج على المنزل " .

ترددت عيناها المتعبتان بينه وبين كلاى وهى تتساءل : " فمن تركه هنا إذن ؟ "

هز كلاى رأسه : " لن نعلم هذا . آليس . بوسعكِ أن تلقيه " .

لكن كلاى علم أنها لن تفعل هذا ؛ خيل له أنه رأى هذا المشهد من قبل . كانت لا تزال تحمله فى يدها ، القابضة على خصرها ، وهى تقترب لتقف خلف توم ، الذى كان على العتبات يبحث عن المفتاح تحت الضوء الخافت .

قال كلاى لنفسه : " ها نحن ذا نسمع صوت القط رافى " . ومن المؤكد أن القط بالداخل يموء مرحبا بصاحبه .

www.rewity.com ^RAYAHEENA^

٧

مال توم على قطه رافى (وهو اختصار رافائيل) الذى قفز إلى ذراعيه ، وهو يهر بصوت عال ويمد رأسه يتشمم شارب توم .

قال له توم : " بالفعل ، وأنا اشتقت إليك أيضاً . وصدقنى لقد غفرت لك فعلتك " . حمل رافى عبر السقيفة وهو يربت على رأسه . تبعته آليس وبعدهما كلاى . بعد أن أغلق الباب والمزلاج .

قال توم بعد أن دخلوا المنزل : " فى نهاية هذه الطرقة تجدان المطبخ " . كانت رائحة الأثاث مريحة ، رائحة طالما ربط كلاى بينها وبين من يعيشون حياة دعة لا تحتاج بالضرورة إلى وجود امرأة . " الطابق العلوى إلى اليمين . ولنكن على القرب من بعضنا البعض . فالردهة واسعة ، ولا شيء على الأرضية . إلا أن هناك طاولات على الجانبين وهى سوداء كقبعتك . كما ترين " .

قال كلاى : " إن صح القول " .

" ها ها ها "

سأله كلاى : " أليس لديك كشافات ؟ "

" سأجلب كشافات وفانوساً كذلك . ولكن علينا الذهاب إلى المطبخ أولاً " .

تبعاه عبر الردهة ، وآليس تسير بينهما . كان بوسع كلاى سماع صوت أنفاسها المتسارعة ، وهى تحاول ألا تخاف مما حولها ، إلا أن هذا كان صعباً بالطبع . بل لقد كان صعباً عليه هو نفسه . بسبب غرابة المكان وعتمته . كم سيكون من الأفضل أن يتوافر بعض الضياء . ولكن .. ..

اصطدمت ركبته بالطاولات التى ذكرها توم . واهتز شيء كاد يهوى متهشماً . توقع كلاى سماع صوت التهشم ، ومعه

صرخات آليس . فهذا بديهى . إلا أنه أياً كان هذا الشيء ، فقد قرر أن يعيش لفترة أطول فاستقر فى مكانه . بدا أنهم ساروا طويلا قبل أن يقول توم : " ها هو ، حسناً ؟ كان هذا صعباً عن حق " .

كان المطبخ ذا لون أسود كلون الردهة ، وخطر لكلاى التفكير فى كل الأشياء التى كان يفتقدها ويفتقدها توم أكثر : تلك الأرقام المنيرة على جهاز الميكرو ويف وأزيز الثلاجة وأنوار منزل الجار تتسلل عبر نافذة المطبخ لتسقط على صنبور الحوض .

قال توم : " ها هى الطاولة . سأساعدك على الجلوس ، آليس . ها هو كرسى ، حسناً ؟ آسف لو كنا أشبه بمن يلعب الاستغماية " .

همت ترد : " لا بأ ... " ، إلا أنها صرخت فجأة صرخة أفزعت كلاى ، وامتدت يده إلى مقبض السكين التى يعتبرها الآن سلاحاً شخصياً له من دون أن يدرك هذا .

سألها توم فى حدة : " ماذا؟ ... ماذا ؟ "

" لا شيء ... فقط ... القط ... ذيله ... مر على ساقى " .

" أوه ... أنا آسف " .

قالت بنبرة امتعاض جعلت كلاى يجفل وسط الظلام : " لا بأس .. كم أنا غبية " .

قال : " لا عليك آليس ... هونى على نفسك ... فقد كان يوماً صعباً على الجميع " .

رددت آليس : " يوماً صعباً على الجميع ! " وضحكت بطريقة لم يكترث لها كلاى . ولكنها ذكرته بنبرة صوتها عندما وصفت منزل توم بأنه جميل .

كان يفكر فى أنها على حافة الوقوع فى براثن الهيستيريا . إنه يرى فى الأفلام أن من تصاب بالهيستيريا تتلقى صفعة على

وجهها ، مما يعيدها إلى صوابها . إلا أن هناك على الأقل أضواء فى الأفلام .

لم يكن عليه أن يصفعها ، فيمكن أن يهزها ، أو أن يحتضنها . تنبهت آليس إلى ما كان صوتها ينم عنه . وسيطرت عليه حتى صار هادئاً .

قال توم : " اجلسى فأنتِ متعبة ... وأنت أيضاً كلاى . سوف أحضر بعض وسائل الإضاءة " .

أخذ كلاى يتحسس الكرسى حتى تمكن من الجلوس إلى الطاولة التى بالكاد يراها . بالرغم من أنه من المفترض أن تكون عيناه قد اعتادتا هذه العتمة الآن . هناك صوت مواء رافى الخفيض بالقرب من ساقه بالأسفل .

قال لشبح الفتاة التى أمامه وخطوات توم تبتعد : " خمنى ماذا ؟ لقد باغتنى صاحبنا رافى أنا أيضاً " . مع أن هذا لم يحدث فى حقيقة الأمر .

قالت : " علينا أن نغفر له هذا . فمن دون هذا القط . لكان توم قد صار مجنوناً كبقية المجانين . وكم كنا سنأسف لهذا " .

" بالفعل " .

" أنا فى غاية الخوف . هل تعتقد أن الأمور ستتحسن فى الغد . مع ضوء النهار ؟ أعنى أن سببًا من أسباب هذا الخوف يكمن فى الظلام ؟ "

" لا أعرف "

" لابد أنك فى غاية القلق على زوجتك وابنك الصغير " .

تنهد كلاى وهو يفرك وجهه : " الصعوبة فى أنى أحاول التغلب على هذا الشعور بانعدام الحيلة . فنحن بعيدون عن بعضنا البعض كما ترين .." . توقف وهز رأسه . لم يكن ليستطيع أن يكمل كلامه لولا أنها اقتربت منه لتمسك يده . كانت أصابعها ثابتة وباردة . " لقد انفصلنا فى الربيع الماضى .

وما زلنا نعيش فى نفس البلدة الصغيرة . أى أنه شبه زواج . زوجتى مدرسة بمدرسة ابتدائية " .

مال بوجهه إلى الأمام محاولاً أن يتبين تعبيرات وجهها فى الظلام .

" أتريدين الصراحة ؟ لو أن هذه الأحداث قد حدثت منذ عام مضى . لكان جونى معها . إلا أنه فى سبتمبر هذا التحق بالمدرسة المتوسطة . والتى تبعد قرابة خمسة أميال عن منزلنا . وأنا أحاول أن أتأكد من أنه كان بالمنزل حينما بدأ كل هذا الجنون . لقد استقل هو وأصدقاؤه الحافلة . أعتقد أنه سيكون بالمنزل . وأنه سيهرع إليها من فوره " .

أو أنه التقط هاتفه المحمول ليهاتفها ! عاد الفزع لينتابه من جديد ... وجد كلاى نفسه يقبض على أصابعها فتنبه لذلك . إلا أنه لم يستطع منع العرق من أن يتصبب على وجهه وذراعيه .

قالت : " من أين لك أن تعلم بما حدث ؟ " .

" لا حيلة لدىَّ "

" والدى يدير مزرعةً ومطبعة فى نيوتن . وأنا متأكدة من أنه بخير . إلا أنه سيكون قلقاً علىَّ . أنا و ... و ... أنت تعلم قصدى " .

كان كلاى يعلم .

" إننى أفكر دوماً فيما قام به بشأن طعام العشاء . أعلم أن هذه فكرة سخيفة ؛ ولكنه لا يستطيع أن يطعم نفسه " .

فكر كلاى فى أن يسألها عما إذا كان والدها يملك هاتفاً محمولاً أم لا . إلا أن شيئاً ما دفعه إلى السكوت . فسألها بدلاً من ذلك : " هل أنت بخير الآن ؟ "

هزت كتفيها قائلة : " بلى . فأياً كان ما حدث له فقد حدث . ولا سبيل لى كى أغيره " .

قال لنفسه : أتمنى لو لم تقولى هذا .

بدا صوته قاسيا خشنًا وهو يقول : " لدى ابنى هاتف محمول . هل أخبرتك بهذا ؟ "

" أجل . قبل أن نعبر الجسر " .

" بالتأكيد . صحيح " . كان يعض على شفته السفلى وأجبر نفسه على التوقف عن هذا : " إلا أنه لا يبقيه مشحونا على الدوام . قد أكون أخبرتك بهذا أيضا " .

" أجل " .

" لا سبيل لى لأن أعرف ما حدث له " . ها هو القلق ينبهه من جديد . كفأر يتقافز داخل صدره .

أمسكت يده بيديها . لم يود أن يترك نفسه لهذا الجنون . إلا أنه لم يشأ أن يسحب يده من بين يديها . ظلا على هذه الحال وأيديهما متشابكة ليبث كل منهما ما لديه من طمأنينة للآخر . من فوق طاولة مطبخ توم الصغير . إلى أن عاد إليهما توم وبجعبته كشافات ضوئية وفانوس كان لا يزال جديدا فى صندوقه .

٨

صدر عن الفانوس ضوء يكفى للاستغناء عن الكشافات . كان ضوؤه أبيض . إلا أن كلاى كان مشدوها بروعته بعد كل هذا الظلام . وبعد أن أزاح كل الظلال السوداء من حولهم فيما عدا ظلالهم والقط الذى كان يتقافز على الجدار كديكور الهولوين المصنوع من ورق أسود اللون .

قالت آليس : " أعتقد أن عليك أن تسدل الستائر " .

كان توم يفتح أحد الأكياس البلاستيكية التى أحضروها معهم من الميتروبوليتان . فتوقف ليسألها فى فضول :

" لماذا ؟ " .

هزت كتفيها واكتفت بالابتسام . رأى فيها كلاى أغرب ابتسامة رآها فى حياته ترتسم على وجه مراهقة . كانت قد نظفت الدماء عن أنفها وخدها . إلا أنه كانت هناك هالات داكنة تحت عينيها . وقد ساهم الفانوس فى شحوب وجهها ، والابتسامة التى تبدى أسنانًا صغيرة تلمع بين شفتين ترتجفان وقد غاب عنهما كل أثر لأحمر الشفاه . كانت محيرة بسبب هذا الاصطناع الظاهر لها . بدت له آليس أشبه بممثلة فى أفلام الأربعينيات تلعب دور مصلحة اجتماعية على شفا الانهيار العصبى . كانت تضع أمامها الحذاء الرياضى الصغير الذى وجدته . تداعبه بأحد أصابعها . وكلما حركته . أصدر رباطه صوتا . تمنى كلاى لو أنها انهارت خلال أسرع وقت ممكن . فكلما طالت فترة تظاهرها بالتماسك كان الأمر أسوأ حينما تنهار فى النهاية . وحتى لو أنها فى الفترة التى مضت قد أخرجت شيئا مما يعتمل بداخلها . إلا أنه لم يكن بالقدر الكافى . فحتى الآن إنه كان أكثرهم ممارسة لهذا الدور .

قالت : " لا أعتقد أن من المفيد أن يرانا أحد ونحن هنا . هذا كل شيء " . أخذت تقلب فى الحذاء الذى أمامها . فيحدث رباطه صوتا مع ملامسته لسطح الطاولة اللامع . " بل إنه قد يكون ... خطرا " .

نظر توم إلى كلاى .

فقال كلاى : " قد تكون على حق . فلا أستسيغ فكرة أن يكون هذا المنزل هو الوحيد المضاء فى هذه المنطقة . حتى لو كان الضوء فى مؤخرة المنزل " .

فنهض توم وأسدل الستائر المنصوبة عند النافذة فوق الحوض ومن دون أن يعلق .

كانت هناك نافذتان أخريان بالمطبخ . فأسدل أستارهما

www.rewity.com ^ARAYAHEEN^

أيضاً . ثم هم بالعودة إلى الطاولة قبل أن يغير مساره متجهاً لإغلاق الباب المفضى إلى الردهة . بقيت آليس تقلب فى الحذاء أمامها . تبين لكلاى وسط الضوء القوى للفانوس أن لونه كان وردياً ممزوجًا بالبنفسجى ، لونان يحبهما الأطفال . أخذ توم ينظر إلى الحذاء فى وجوم ، وخطر لكلاى أن يقول له : عليك أن تطلب منها أن تبعده عن سطح الطاولة . قل لها إنها لا تعلم مصدره وإنك لا تريده على الطاولة . وسيكون هذا كافيا لاستثارة أعصابها وسنعمل نحن حينها على تخليصها من توترها العصبى هذا . هيا اطلب منها هذا . وأعتقد أنها تريد منك أن تطلب منها ذلك . لهذا فهى تفعله .

لكن توم اكتفى بأن أخرج شطائر اللحم المشوى البارد مع الجبن ووزعها عليهم . وأخرج إبريقا به شاى مثلج من الثلاجة وهو يعلق : ما زال باردًا ، ثم وضع بعضًا من اللحم النيئ للقط .

قال وكأنه يبرر ذلك : " هو يستحقه ... كما أنه سيفسد فى ظل انقطاع الكهرباء " .

كان هناك جهاز هاتف معلق بالجدار . جربه كلاى ، لكنه لم يجد به خطا . كان الجهاز ميتًا كـ ... حسنًا ، كتلك المرأة التى لقيت مصرعها أمامه عند ساحة بوسطن . عاد للجلوس وأخذ يتناول طعامه . كان جائعا إلا أنه لم يجد فى نفسه شهية للأكل .

وضعت آليس شطيرتها على الطاولة بعد ثلاث قضمات منها فقط . " لا يمكننى أن آكل . ليس الآن . فأنا متعبة جدًا . أريد أن أنام . وأريد أن أغير هذه الملابس . أعتقد أنه لن يكون بوسعى أن أغتسل أى أن أغتسل جيداً على كل حال لكننى أتوق لأن أخلع هذه الملابس اللعينة عنى . فهى معبأة برائحة العرق والدم " . حركت الحذاء فى توتر . فسقط فوق شطائرها التى لم تتناولها . " إننى أشم فيها رائحة أمى . عطرها " .

مضت لحظات دون أن يعلق أى منهما على كلامها . كان كلاى فى حيرة تامة . تخيلها للحظات وهى من دون تلك الملابس الخارجية . لا ترتدى سوى حمالة الصدر وسروالها الداخلى . وعيناها الخاويتان اللتان تجعلانها أشبه بدمية . كم هو سلس وملح خياله الفنى . صدمه التخيل لا لكونه مثيرًا . بل لأنه لم يجد به إثارة . أتاهم من البعد صوت انفجار كبير .

عندها كسر توم حاجز الصمت ، وشعر كلاى بارتياح لهذا :

" أعتقد أن سروال جنز من عندى سيناسبك بعض الشيء " . ونهض وهو يتابع كلامه : " أتعلمين . إننى أعتقد أنكِ ستكونين جذابة حين ارتدائه . تعالى معى إلى الطابق العلوى حيث سأجهز لك بعض الملابس لترتديها فى الصباح . وبوسعك قضاء الليلة فى غرفة الضيوف . لدى الكثير من البيجامات . هل تريدين مصباحا ؟ "

" أعتقد ... أعتقد أنه سيكفينى أحد الكشافات . ما رأيك ؟ "

" بالتأكيد " . تناول أحد الكشافات وناولها آخر . كان متأهباً لأن يعلق على الحذاء الصغير حينما وجدها تتناوله . ثم بدا وكأنه قد فضل السكوت . " يمكنك الاغتسال كذلك . قد لا يكون هناك الكثير من المياه ، لكن الصنابير ستفرغ بعضها حتى مع انقطاع الكهرباء " . ثم نظر إلى كلاى قائلا : " إننى أحتفظ دوما بحاوية بها زجاجات مياه شرب فى القبو ، فلن نعانى من نقص المياه هنا " .

أطرق كلاى برأسه وقال لآليس : " نوماً هنيئاً ، آليس " .

قالت بنبرة واهنة وهى تسير فى وهن أيضاً : " وأنت أيضاً ... كم أسعدنى لقاؤك " .

فتح توم الباب لها . وانطلق نور كشافيهما عبره ، ثم أغلق الباب من جديد . سمع كلاى صوت خطواتهما على الدرج ، ثم

فوقه . ثم سمع صوت خرير مياه . انتظر ذلك الصوت المألوف لانسحاب الهواء في المواسير . إلا أن خرير الماء توقف قبل هذا . كان الماء كافيا لأن يملأ لها حوض الاستحمام بالفعل . كان كلاى بدوره يعانى من الدماء والغبار . ويود لو اغتسل وتخيل أن توم فى نفس معاناته هذه . وخمن أن هناك حمامًا آخر فى هذا الطابق . ولو كان توم حريصًا على النظافة . كما هو حريص فى كل شيء آخر . فسوف يجد الماء نظيفاً بخزان الطارد فى الحمام بل وفى قاعدته أيضا .

قفز رافى على مقعد توم . وبدأ يمدد مخالبه فى ضوء الفانوس الأبيض . كان كلاى يسمع صوت هريره حتى مع صوت هسيس الفانوس المنتظم . لم يبد له أن رافى قد وجد تغيراً للأسوأ فى حياته .

خطرت له آليس وهى تتلاعب بالحذاء الصغير . وتساءل عما إذا كان من الممكن لصبية فى الخامسة عشرة أن تصاب بانهيار عصبى .

قال للقط : " لا تكن غبياً . بل إن هذا طبيعي . ويحدث على الدوام . بل ويصنعون حول موضوعه أفلاماً سينمائية " .

نظر إليه رافى بعينين حكيمتين خضراوين وواصل لعقه لمخالبه . بدت له عيناه تطلبان المزيد من الفضفضة . وكأنهما عينا طبيب نفسى . هل ضربك أحدهم وأنت طفل ؟

إننى أشم فيها رائحة أمى . عطرها .

تبدو له آليس دمية ورقية . والأشرطة اللاصقة تلتصق بكتفيها وساقيها .

" لا تكن سخيفاً فالأشرطة تكون بالملابس وليست الدمية . أى نوع من الرسامين أنت ؟ " هكذا قالت له عينا رافى .

قال : " النوع العاطل . اخرس . لِمَ لا تصمت ؟ " . أغلق عينيه . إلا أن هذا كان أسوأ . فقد وجد عينيه الخضراوين

طافيتين فى عتمة عينيه . وكأنهما عينا " شيشاير " قط لويس كارول : نحن كلنا مجانين هنا . عزيزتى آليس . ولم يزل يسمع صوت هريره حتى مع صوت هسيس الفانوس المنتظم .

٩

مضى على ذهاب توم خمس عشرة دقيقة . وحينما عاد أزاح رافى عن مقعده من دون أن يتكلم . وتناول قضمة كبيرة من شطيرته . قال : " لقد نامت . ارتدت إحدى بيجاماتى وأنا أنتظرها في الردهة . ثم ألقينا بملابسها في سلة المهملات . ولا أعتقد أنها انتظرت طويلاً حتى تذهب فى سبات عميق . وأنا أعتقد أن تخلصها من تلك الملابس قد أسهم بشكل كبير فى تهدئة أعصابها ... لقد كانت رائحتها كريهة بالفعل " .

قال كلاى : " لقد توجت رافى رئيسا للولايات المتحدة وأنت بالخارج " .

رد توم : " هذا جيد . اختيار حكيم بالفعل . ومن أعطاه صوته ؟ "

اتسعت عينا كلاى وهو يقول : " الملايين . كل من بقى محتفظاً بعقله . أرسلوا إلى بأصواتهم الفكرية . فأنا أقرأ العقووووول " .

توقف توم عن المضغ . ثم سرعان ما عاد إليه من جديد ولكن ببطء . قال : " لا أستطيع أن أشعر بكل هذا المرح ونحن فى هذه الظروف " .

تنهد كلاى وارتشف بعضاً من الشاى المثلج . ودفع نفسه دفعا لأن يتناول شيئاً من شطيرته . أقنع نفسه بأن الطعام لا يعدو أن يكون وقود الجسد . وعليه أن يتزود به . " بالفعل . أنا آسف " .

قرع توم كأسه بكأسه قبل أن يشرب منه . " لا بأس . أقدر لك مشاعرك هذه . أين حقيبة رسوماتك ؟ "

" تركتها عند المدخل . كنت أريد أن أتخفف مما أحمله ونحن نعبر ردهة الموت بمنزل توم ماكورت "

" حسنا إذن . اسمعنى . كلاى . لأننى فى غاية الأسف والحزن تجاه عائلتك "

قال كلاى ببعض الصرامة : " لم يأت وقت الأسف بعد . لا يوجد ما نحزن لأجله حتى الآن " .

" ... لكننى فى غاية السعادة لتعرفى عليك . هذا ما كنت أقصده " .

قال كلاى : " هو نفس إحساسى كذلك . كما أننى أقدر هذا المكان الذى سنقضى به ليلتنا . ومن المؤكد أن هذا هو شعور آليس أيضاً " .

" هذا ما لم تحترق مالدين هى الأخرى من حولنا " .

أطرق كلاى برأسه مع ابتسامة : " بالفعل . هل أخذت منها ذلك الحذاء الصغير الغريب ؟ "

" كلا . لقد أخذته معها إلى الفراش ... يبدو أنها تجد فيه بعض الراحة . وكأنه دمية . سوف تكون أفضل حالاً فى الصباح لو نامت بعمق هذه الليلة " .

" هل تعتقد ذلك؟ "

" كلا . ولكنها لو استيقظت فزعة فسيكون علىَّ أن أقضى الليلة إلى جوارها . سوف أكون فى مأمن معها . أليس كذلك ؟ "

" أجل " . كان كلاى سيشعر أنه فى مأمن هو الآخر معها . إلا أنه كان يعلم قصد توم . فقال : " سوف أرحل شمالاً مع أول ضوء للصباح . وستكون فكرة جيدة لو صحبتنى أنت وآليس " .

فكر توم فى كلامه قليلاً قبل أن يسأله : " ماذا عن والدها ؟ "

" إنها تقول بأنه يجيد الاعتماد على نفسه . وأن أكثر ما يقلقها عليه هو تناوله للطعام . ما فطنته من هذا الكلام هو أنها لا ترغب فى أن تعرف بأى حال ما قد يكون جرى له . سيكون علينا بالطبع أن نستطلع رأيها فى هذا . لكننى أفضل أن تأتى معنا . كما أننى لا أرغب فى أن أتجه غرباً عبر تلك المناطق الصناعية " .

" أنت لا تود أن تتجه غرباً على الإطلاق " .

اعترف له كلاى بذلك قائلاً : " كلا " .

ظن أن توم سيجادله فى هذا . إلا أنه لم يفعل : " وماذا عن الليلة ؟ هل ترى أن نتناوب الحراسة ؟ "

لم يفكر كلاى فى هذا الأمر من قبل هذه اللحظة . فقال : " لا أعلم إن كان لهذا فائدة أم لا . فلو أن مجموعة من المجانين اقتحمت شارع سالم وهى مسلحة . فما الذى سيكون بوسعنا أن نفعله للتصدى لهم ؟ "

" أن نختبئ فى القبو ؟ "

فكر كلاى فى الأمر قليلاً . بدا له الاختباء فى القبو نوعاً من أنواع استعجال النهاية . إلا أن من المحتمل أن يعتقد المجانين حينها أن المنزل مهجور فيرحلون . وهذا أفضل من أن يلقى المرء مصرعه فى المطبخ . بل وقد يكون هذا بعد أن تتعرض آليس للاغتصاب مثلاً .

لن تصل الأمور إلى هذا الحد . هكذا قال لنفسه فى انزعاج . بل أنت مبالغ . لن تصل الأمور إلى هذا الحد .

إلا أن بوسطن كانت تحترق حتى النهاية . وكان الناس يقتحمون المتاجر كالمجانين للحصول على ما فيها . لقد وصل الأمر إلى هذا الحد .

كان توم يراقبه وهو غارق فى أفكاره ... وربما كانت هى نفس أفكاره هو . بينما قفز رافى إلى حجره . فترك توم شطيرته

وأخذ يمرر يده على ظهره .

قال كلاى : " أتعلم ... لو أن لديك فراش ترحال فعليك أن تجلبه لى ، فسوف أقضى ليلتى عند مدخل المنزل بالخارج . وهو مدخل مقفل ، كما أنه أعتم من الشارع ، مما يعنى أننى سأتمكن من رؤية من يقترب من المنزل قبل أن يتمكن هو من رؤيتى . وخاصة لو كان من مجانين الهاتف . فلن يخطر له أن هناك من يترقبه " .

" كلا . لا أميل إلى هذه الفكرة . فماذا لو أتوا من خلف المنزل؟ من جهة ساحة لين " .

هز كلاى كتفيه قاصدًا أنه لن يكون بوسعهم أن يصدوا كل الهجمات .

قال توم بعد أن تناول شيئًا من شطيرته وأخذ يناول رافى قطعة لحم : " حسنا ، ولكن سيكون عليك أن تأتينى فى الساعة الثالثة . ولو بقيت آليس نائمة حتى تلك الساعة ، فسيكون الأقرب أنها ستبقى نائمة حتى الصباح " .

" سننتظر ونرى ماذا سيحدث ، سأسألك عن شيء رغم أننى أعلم الإجابة ... هل لديك مسدس ؟ "

" كلا . ولا أى سلاح " . نظر إلى شطيرته ثم وضعها على الطاولة . وحينما رفع عينيه إلى عينى كلاى ، وجدهما يائستين . فقال بصوت خفيض وكأنه يناقش معه سرا : " أتذكر ما قاله ذلك الشرطى قبيل أن يطلق النار على المجنون ؟ "

أومأ كلاى برأسه . فهو لن ينسى أبدا كيف كان الشرطى يسأل المجنون عن حاله قبل أن يقتله حيث قال : مرحبا يا صاح ، كيف حالك ؟ أعنى ماذا يحدث ؟

قال توم : " أعلم أن الأمور لا تسير كما نراها فى الأفلام ، إلا أننى لم أشك أبداً فى القوة الهائلة الكامنة فى تلك الكلمات . أو بما فيها من مباغتة ... وذلك الصوت الذى صدر عن رأس

المجنون حينما ... حينما ... " .

مال إلى الأمام بغتة ، وقد غطى فمه بيده . فاجأت الحركة رافى ، فقفز إلى الأرض . صدر عن توم صوت ينم عن أنه سيتقيأ ما فى جوفه . فابتعد كلاى عنه متوقعا أن يبدأ فى التقيؤ . وكان يتمنى ألا يصاب هو الآخر بالرغبة فى القيء . كان يجد فى نفسه رغبة ملحة فى هذا . لأنه كان يعلم ما كان يقصده توم من كلامه هذا . تلك الطلقة ، ثم كل ما حواه رأس ذلك المجنون المنفجر وقد لطخ الرصيف أسفله .

سيطر توم على نفسه فلم يتقيأ ، ثم نظر إليه بعينين دامعتين : " آسف ... لم يكن علىّ أن أحكى هذا " .

" ليس عليك أن تأسف " .

" أعتقد أنه لو قدر لنا أن نجتاز أيا مما ينتظرنا ، فإن من الأفضل أن نجد وسيلة نتغلب بها على مشاعرنا المرهفة هذه . فمن لا يستطيع أن يفعل هذا ... " ، توقف لحظة قبل أن يواصل قائلا : " فمن لا يستطيع أن يفعل هذا ... " ، سكت ثانية . وفى المرة الثالثة نجح فى أن يقول : " .. فمن لا يستطيع أن يفعل هذا .. سيموت " .

حدقا فى عينى بعضهما البعض وسط ضوء الفانوس الأبيض ، من دون أية كلمة أخرى .

١٠

قال كلاى : " منذ أن تركنا المدينة وأنا لم أر أحداً يحمل مسدسا . لم أكن متنبها لهذا فى البداية ، إلا أننى سرعان ما تنبهت إليه " .

" أتعلمون السبب ؟ السبب هو أن ماساشوسيتس تطبق أكثر قوانين السلاح صرامة فى البلاد " .

تذكر كلاى أنه قد رأى لافتات إعلانية بالشوارع ترشد إلى بنود هذا القانون وذلك منذ بضع سنوات . وبعدها استبدلوها بأخرى تقول بأن قيادة السيارة فى حالة سكر تعرض صاحبها إلى السجن .

قال توم : " لو وجد الشرطى سلاحاً مخبأ فى سيارتك كأن تكون قد وضعته فى مقصورة سيارتك مع الرخصة وبطاقة التأمين فسوف يوجه إليك تهمة عقوبتها السجن لسبع سنوات . ولو أوقفك وفى عربتك بندقية محشوة بالذخيرة ، حتى ولو كنت فى موسم الصيد . فسوف تغرم بما يصل إلى ١٠ آلاف دولار مع قضاء عامين فى خدمة المجتمع " . التقط ما تبقى من شطيرته ، وتأمله ، ثم عاد ليضعه على الطاولة من جديد . " بوسعك أن تمتلك مسدسا وتحتفظ به فى منزلك ما لم تكن ذا سوابق . ولكن أن تحمل مسدساً مرخصاً معك ؟ فهذا محال " .

" لا مسدسات يمكن أن تنقذ حياة بعض ممن خرجوا من المدينة " .

رد توم : " أتفق معك تماماً . فالحمد لله أن أحداً من هذين الشابين المتصارعين على برميل الجعة لم يكن معه مسدس من عيار ٣٨ مثلا " .

أطرق كلاى برأسه موافقاً .

عاد توم بظهره إلى الوراء فى كرسيه ، وعقد ذراعيه أمام صدره الصغير ، وهو يتلفت حوله . كانت الكؤوس تومض بالضوء المنعكس عليها من الفانوس بشكل به بعض الروعة . " على أننى لن أرفض فى ظل وضعنا هذا حمل السلاح . حتى بعد أن رأيت الأثر الذى يحدثه استخدامه . هذا مع أننى أعتبر نفسى من مؤيدى حظر السلاح " .

" منذ متى وأنت تعيش فى هذا المنزل ، توم ؟ "

" قرابة اثنى عشر عامًا . وقت طويل بما يكفى لأن

أكون شاهداً على تنامى هذه البلدة حتى وصلت إلى تخوم شيتسفايل " .

" فكر معى إذن . أى من جيرانك أقرب لأن يكون لديه بمنزله سلاح أو أسلحة ؟ " .

رد توم من فوره : " آرنى نيكرسون . منزله يقع عبر الشارع على بعد ثلاثة منازل . فهناك ملصقات على عربته الكامرى تنم عن أنه عضو فى نوادى صيد " .

" هذا جميل . علينا إذن أن نتسلل إلى منزله صباح الغد ونأخذ ما بداخله من أسلحة " .

نظر توم إليه وكأنه قد جن . " إن ذلك الرجل ليس من أمثال أولئك المصابين بالبارانويا من ميليشيات " أوتاه " . أقصد أنه يعيش بالفعل فى تاكساشوسيتس .. لكنه يمتلك واحداً من أجهزة الإنذار التى تحدث الكثير من الصخب حول المكان إن حدث أى اقتحام . كما أنك تعلم بالقوانين التى تطبق على من يتم اتهامه بسرقة أسلحة وبالأخص التابعة لجهات بعينها " .

" أعتقد أن للأمر علاقة بمصالح جهات ما "

" ها قد فهمت مقصدى " .

مال كلاى إلى الأمام وحدد فى عقله ما كان واضحاً منذ لحظة دخولهم فى هذه المنطقة خارجين من الطريق السريع : فليست مالدين سوى بلدة بائسة حدث لها نفس ما حدث لبقية أرجاء أمريكا . أى أنها أصبحت خارج نطاق الخدمة . ولا أحد يعلم متى ستعود لتدخل هذا النطاق . كما أن شارع سالم مهجور . شعر بهذا وهم يسيرون فيه ... أليس كذلك ؟

... كلا .. تبا لك ... لقد كنت تشعر بأن هناك من يراقبكم .

حقا ؟ وحتى إن كان هذا قد حدث . فهل هذا نوع من الحدس الذى يمكن الاعتماد عليه عملياً . وخاصة بعدما مر به

طيلة اليوم؟ هذه فكرة سخيفة .

" اسمعنى ، توم . أحدنا سيتوجه إلى منزل ذلك المدعو نيكلسون غدًا . وبعد أن تصعد الشمس فى ... "

قال توم مصححاً : " اسمه نيكرسون وليس نيكلسون . وأنا لا أجدها فكرة ذكية ، خاصةً وقد رأيته جاثياً بداخل حجرة معيشته ومعه بندقية آلية أعتقد أنه يحتفظ بها للطوارئ القصوى . ونحن الآن فى حالة طوارئ قصوى " .

فقال كلاى : " سوف أقوم أنا بذلك إذن . ولكننى سألغى الفكرة لو سمعت أى إطلاق نار يصدر من جهة منزله منذ الآن وحتى صباح الغد . كما أننى لن أقدم عليها لو رأيت أى شخص بحديقة منزله . سواءً كان معه سلاح أم لا . فلقد شاهدت جميع حلقات مسلسل Twilight Zone وخاصةً تلك التى بينت السرعة التى اندثرت بها حضارتنا " .

قال توم واجما : " لو كان الأمر هكذا فإننى لا أمانع إذن " .

" سأذهب إلى هناك أعزل . وأدق جرس الباب . ولو أجابنى أحد فسوف أخبره بأنى أود التحدث معه . فما هو أسوأ شئ يمكن أن يحدث فى رأيك ؟ أن يطردنى وحسب " .

رد توم فى حدة : " كلا ، بل أسوأ شيء هو أنه من الممكن أن يطلق عليك النار من فوره ، فتتركنى وحدى مع هذه الفتاة التى فقدت أمها ... فكر فى حلقات ذلك المسلسل كما تشاء ، ولكن عليك ألا تنسى أولئك الذين رأيتهم اليوم ، وهما يتقاتلون عند محطة المترو فى بوسطن " .

" إنهم ... لا أدرى ما أقول ، ولكنهم كانوا مختلين عقلياً . وأنت لا تشك فى هذا ، توم " .

" وماذا عن العجوز صاحبة الكتاب ؟ وماذا عن اللذين تقاتلا بعنف بسبب صندوق الطعام ؟ هل هم مجانين أيضاً ؟ "

لم يكونوا بالطبع من المجانين ، إلا أنه لا يزال يرغب فى

الحصول على سلاح من ذلك المنزل ، لو كانت به أسلحة . كما يريد لتوم وآليس أن يحتفظ كل منهما بسلاح معه أيضاً .

قال كلاى : " إننى أفكر فى أن نتوجه شمالاً لبضعة أميال . قد نتمكن من الحصول على سيارة نقودها ، ولكن قد نضطر لأن نقطع المسافة مشياً على الأقدام . فهل تريد أن تفعل هذا وأنت غير مسلح سوى بسكين مطبخ؟ هذا سؤال رجل لرجل ، فمعظم من سنصادفهم سيكونون مسلحين . وأنت تعلم قصدى " .

" بالفعل " . رد توم وهو يمرر أصابعه فى شعره الأنيق .

" كما أعلم أن آرنى وزوجته بيث لن يكونا فى الأغلب داخل المنزل . فقد كانا شغوفين بالتكنولوجيا قدر شغفهم بالأسلحة . ودوماً ما كنت أراه يعبث بهاتفه المحمول وهو يقود عربته " .

" أرأيت ؟ ها قد وافقتنى " .

تنهد توم وقال : " حسنًا . لكن هذا سيعتمد على ما سيأتينا به الصباح . اتفقنا ؟ "

تناول كلاى شطيرته من جديد وهو يقول : " اتفقنا " .

" إلى أين ذهبوا ؟ أولئك الذين أسميتهم مجانين الهاتف . إلى أين ذهبوا فى رأيك ؟ "

" لا علم لى بهذا " .

" سأقول لك رأيى . أرى أنهم قد تسللوا إلى المنازل والبنايات مع حلول غروب الشمس ليموتوا هناك " .

نظر كلاى إليه فى شك .

" لو أمعنت التفكير فى الأمر لرأيت أن ظنى صحيح . ألا تتفق معى فى أن كل هذا الذى حدث نوع من أنواع الأعمال الإرهابية ؟ "

" قد يبدو هذا أقرب تفسير ممكن ، مع أننى لا أعرف كيف يمكن لإشارة ما ، مهما كانت قوية ، أن يتم برمجتها بحيث تحدث ما أحدثته هذه الإشارة " .

" هل أنت من العلماء ؟ "

" تعلم جيداً أنى لست كذلك . فأنا رسام " .

" إذن فحينما تقول لك إدارتنا إن بوسعها أن ترسل قنبلة ذكية موجهة إلكترونياً فتخترق بوابات مستودع داخل أرض صحراوية من حاملة طائرات تبعد عن تلك النقطة ألفى ميل . فإنك لا تجد أمامك سوى التسليم بوجود مثل هذه التكنولوجيا " .

سأله كلاى بجدية : " وهل يمكن لكاتب مثل توم كلانسى أن يكذب على قرائه ؟ "

" ولو كانت هذه التكنولوجيا موجودة بالفعل . فلماذا لا نقتنع بوجود هذه التكنولوجيا التى نحن أمامها الآن . ولو من حيث المبدأ ؟ "

" لم لا تفصل الأمر وبكلمات مفهومة لو سمحت ؟ "

" فى حوالى الساعة الثالثة من بعد الظهر قامت منظمة إرهابية . وربما إحدى الحكومات المناهضة . بتوليد نوع من الإشارات أو النبضات اللاسلكية . ونحن الآن نفترض أنها تنتقل مع إشارات الهواتف المحمولة عبر جميع أنحاء العالم . ونحن نأمل أن يكون هذا تصوراً مغلوطاً . إلا أننى أرى أن علينا الآن افتراض الأسوأ " .

" وهل انتهى الأمر عند هذا الحد ؟ "

قال توم : " لا أدرى . وهل تريد أن تلتقط هاتفاً محمولاً لتجرب ؟ "

قال كلاى : " أقنعتنى " . كان ابنه قد اعتاد أن يرد عليه بهذه الكلمة . أوه ... يا ربى ... هل لا يزال قادراً على قولها .

استطرد توم : " لكن إذا كانت هذه الجماعة قادرة على بث إشارة تصيب كل من يتعرض لها بالجنون . فما المانع من أن تحتوى هذه الإشارة كذلك على أمر موجه لمن يستقبلها بقتل

أنفسهم بعد مضى خمس ساعات مثلاً ؟ أو أن يتوجهوا للنوم ويتوقفوا عن التنفس ؟ "

" أرى أن هذا محال " .

" أما أنا فكنت أرى إلى وقت قريب أن من المحال أن يقترب منى مجنون يخرج من فندق الفور سيزونز ومعه سكين . أو أن تحترق بوسطن عن آخرها ويفر منها هؤلاء الذين حالفهم الحظ ولم يمتلكوا هاتفاً محمولاً " .

مال بجذعه إلى الأمام . وهو ينظر إلى كلاى فى تصميم . خيل لكلاى أنه مرتاح لهذه الفكرة . فعليه ألا يهدر المزيد من الوقت فى محاولة إقناعه بعكسها . فهو مصر على الاقتناع بها .

قال له : " أجد أنه لا اختلاف بين هذا التصور والإرهاب البيولوجى الذى صارت الإدارة تخشاه منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر . فمن خلال استغلال الهاتف المحمول . الذى أصبح سيد عالم الاتصالات الآن . فإنك تتحكم فى كل البشر وتحولهم إلى جنود لا يسعهم سوى إطاعة أوامرك . جيش لا يخشى من أى شيء . بالمعنى الحرفى لهذه العبارة . هذا لأنه فاقد للعقل وهكذا تدمر البنية التحتية بأسرها . أين هو الحرس الوطنى الليلة ؟ "

رد كلاى مخمناً : " قد يكون بالعراق ... أو بلويزيانا " .

لم تكن بدعابة ولم يبتسم لها توم . " إنه غير موجود . فكيف لنا أن نستخدم قوة وطنية صارت تعتمد الآن وبشكل كلى على الشبكة الخلوية حتى فى تحركاتها ؟ أما بالنسبة للطائرات . فإن آخر طائرة شاهدتها تطير كانت تلك الصغيرة التى تحطمت عند تقاطع شارعى تشارلز وبيكون " . صمت لحظة . ثم واصل كلامه وهو ينظر مباشرة إلى عينى كلاى : " إن كل ما قاموا به ... أياً كان هؤلاء ... هو أنهم راقبونا من المكان

www.rewity.com ^ARAYAHEENA^
www.rewity.com ^ARAYAHEENA^

المجهول الذى يقبعون فيه . فماذا برأيك كان أهم ما رأوه ؟ "

هز كلاى رأسه وهو مشدوه بمنظر عينى توم ، اللتين كانتا تلمعان وراء عدستى نظارته . كانتا أشبه بعينى أحد المتنبئين .

" رأوا أننا قد عدنا فبنينا برج بابل جديدًا ... برجًا مشيدًا من شبكة إلكترونية ليس إلا . ففى ظرف ثوان قاموا بتحييد هذه الشبكة الإلكترونية فانهار البرج . هذا ما فعلوه . بينما نحن الثلاثة كنا أشبه بثلاث حشرات تصادف وبالمصادفة البحتة أن نجت من وقع قدم عملاقة كادت تهرسها تحتها . كل هذا الذى فعلوه ، وأنت تظن أنهم لم يقوموا بصنع إشارة تأمر من يتعرض لها بأن ينام ، ويتوقف عن التنفس بعد خمس ساعات من التعرض لها ؟ فما هى صعوبة هذه الحيلة ، مقارنة بحيلتهم الأولى؟ ليست بالصعبة كما أرى " .

قال كلاى : " أما أنا فأرى أن من المناسب الآن أن ننال قسطاً من النوم " .

ظل توم للحظات فى مكانه ، مستنداً إلى الطاولة ، وهو يحدق فى كلاى وكأنما لم يستطع فهم ما قاله . ثم ضحك قبل أن يقول : " بالطبع . . . بالطبع . . . عندك حق . فيبدو أن التعب قد نال منى . أنا أعتذر لك " .

" لا بأس . فأنا أتمنى أن تكون محقاً بخصوص موت كل المجانين " . صمت كلاى لحظة قبل أن يضيف : " أعنى . . . ما لم يكن ابنى . . . جونى . . . " . لم يسعه أن يتمم عبارته . ربما ظنا منه أنه لو كان جونى قد حاول أن يستخدم هاتفه هذا المساء ، وتلقى نفس المكالمة التى تلقتها بيكسى الشقراء والسيدة ذات الحلّة ، فإنه يشعر بأن من الأفضل حينها ألا يكون جونى حياً الآن .

مد توم يده له عبر الطاولة ، فالتقطها كلاى بيديه . رأى

المنظر وكأنه يراقبه من خارج جسده . وحينما تكلم لم يعتقد لحظة أنه هو من يتكلم . بالرغم من شعوره بحركة فمه . وبالدموع التى بدأت تنساب من عينيه .

كان فمه يتحرك ليقول : " إننى فى غاية الخوف عليه . بل خائف عليهما معاً . إلا أننى أخاف على ابنى أكثر " .

فقال توم : " سوف تجرى الأمور على خير " . شعر كلاى بقلبه ينقبض لسماع هذه العبارة ، التى رأى أنها لا تقال إلا حينما لا يكون هناك شيء يمكن أن يقال سواها . تماماً كمن يقول لشخص مات عزيز لديه ... " إنه الآن فى مكان أفضل " .

١١

أيقظت صرخات آليس كلاى من وسط حلم محير إلا أنه لم يكن بالمزعج . كان فيه بخيمة بينجو بمدينة ملاهى آكرون ستيت . كان بالحلم فى سن السادسة من جديد بل ربما أصغر ؛ ولكن من المؤكد أنه لم يكن أكبر وكان يزحف أسفل الطاولة الطويلة التى كانت أمه تجلس إليها . ينظر إلى غابة سيقان السيدات ويشم روائحهن ، بينما ينادى المنادى على طاولة اللعب " لاعب بى ١٢ ، بى ١٢ ! " .

مرت عليه لحظة حاول فيها عقله الباطن أن يدمج بين صرخات الفتاة والحلم شعر خلالها أنه يسمع صافرة ظهيرة السبت . إلا أنها لم تكن سوى لحظة . كان كلاى قد أسلم نفسه للنوم عند سقيفة منزل توم بعد ساعة من المراقبة اقتنع بعدها أن لا شيء سيحدث ، ليس الليلة على الأقل . لكن من المؤكد أنه كان مقتنعاً كذلك بأن آليس لن تبقى نائمة حتى الصباح . هذا

لأنه لم يشعر بارتباك حقيقى حينما تيقن من أنها تصرخ بالفعل . فمن لحظة كان فيها صبيا يزحف تحت طاولة البينجو فى أوهايو ؛ إلى لحظة يقفز فيها عن الأريكة الطويلة المريحة عند سقيفة منزل توم ماكورت ، والغطاء لا يزال ملتفا عند ساقيه . وفى مكان ما داخل المنزل كانت آليس ماكسويل تصرخ بكل قوة تكاد تحطم زجاج المنزل ، وتعبر عن كل الرعب الذى مرت به خلال هذا النهار ، وهى تلح بصرخاتها على أن هذا الذى تعانيه لا يمكن أن يحدث هنا .

حاول كلاى أن يخلص ساقيه من الغطاء ، إلا أنه وجد صعوبة فى البداية ، ووجد نفسه يتقافز نحو الباب الداخلى ، وهو يخلص نفسه فى عجلة فزعة وهو ينظر نحو شارع سالم ، فمن المؤكد أن هذه الأضواء ستبدأ فى التذبذب حتى بالرغم من أنه يعلم أن الكهرباء مقطوعة ، ومن المؤكد أن شخصا ما ربما كان ذلك الذى يمتلك أسلحة ، ويحب الأجهزة الحديثة ... السيد نيكرسون القاطن بذاك المنزل عبر الشارع سيخرج إلى حديقته ، ويطلب من أحدهما أن يسكت هذه الفتاة ، وإلا يضطراه إلى أن يأتى بنفسه ليسكتها ! سيصرخ آرنى نيكرسون : " لا تضطرونى إلى أن آتى وأطلق النار عليها ! " .

أو يمكن لصرخاتها هذه أن تجتذب مجانين الهاتف كيعاسيب تقترب حثيثا من مصباح منير . قد يظن توم أنهم قد ماتوا ، إلا أن كلاى لا يؤمن بهذه الفكرة مطلقا .

إلا أن شارع سالم غربى وسط المدينة وأدنى من ذلك الجزء من مايدين والذى يسميه توم مرتفعات جرانادا بقى مظلما وصامتا وبلا أى حراك . بل إن وهج الحرائق فى ريفيرى قد بدأ يخبو .

نجح كلاى فى النهاية فى تخليص نفسه من الغطاء . ودلف إلى الداخل ووقف عند الدرج ، وهو يحدق عبر العتمة . يمكنه الآن أن يسمع صوت توم لا الكلمات ولكن النبرات . وقد كانت

خافتة ومطمئنة . بدأت صرخات الفتاة فى التحول إلى لهاث للأنفاس ، ثم إلى بكاء تحول إلى كلمات غير مفهومة . فهم كلاى بعضا منها ، وعرف أنه كان كابوسا . تواصل كلام توم ، وهو يطمئنها ببعض الأكاذيب : فكل شيء سيكون بخير ، وسوف ترى هذا ، وستكون الأمور أفضل فى الصباح . تخيلهما جالسين إلى جوار بعضهما البعض على فراش غرفة الضيوف ، وكل منهما يرتدى البيجاما . وسعه أن يتخيل نفسه يرسمهما هكذا . وابتسم لهذه الفكرة التى خطرت له .

حينما تيقن من أنها قد توقفت عن الصراخ تماما . عاد إلى مدخل المنزل ، والذى كان باردا بعض الشيء ولكن هذا يتبدد بمجرد أن يلف نفسه بالغطاء . جلس إلى الأريكة ، وهو يتطلع عبر الشارع . إلى اليسار ، شرق منزل توم ، يقع الحى التجارى . ظن أنه يرى إشارة المرور التى تميز المدخل نحو ميدان البلدة . أما فى الجهة الأخرى وهى الجهة التى قدموا منها فبها المزيد من المنازل . وجميعها قابع فى عتمة الليل الشديدة .

تمتم قائلا : " أين أنتم؟ بعضكم توجه شمالا أو غربا ، ولا تزالون صحيحى العقل . ولكن إلى أين ذهب بقيتكم ؟ "

لم يأته جواب . تبا . فربما كان توم على حق وأرسلت لهم الهواتف المحمولة رسالة تأمرهم بالجنون فى الثالثة والموت عند الثامنة . بدا الأمر أفضل من أن يتحقق ، إلا أنه تذكر أنه يشعر بالشعور نفسه تجاه الاسطوانات المدمجة القابلة للتسجيل عليها مرات ومرات .

الصمت يغلف الشارع أمامه؛ ويغلف المنزل من ورائه . وبعد برهة من الوقت ، أسند كلاى ظهره إلى الأريكة وأغلق عينيه . ظن أنه قد يغفو ، ولكنه شك فى أنه سينجح فى العودة للنوم من جديد . على أنه غفا فى نهاية المطاف . ولم تنتبه أحلام هذه

المرة . وقبيل ضوء الصباح اقترب كلب من نوع المونجريل من ممشى منزل توم ، وأخذ يتطلع إليه وهو نائم يشخر متدثرا بالغطاء . ثم مضى لحاله . لم يكن متعجلا ؛ ففضلات الطعام كثيرة فى مالدين هذا الصباح . وستبقى كذلك لوقت طويل قادم .

١٢

" كلاى . استيقظ " .

كانت هناك يد تهزه . فتح كلاى عينيه ليرى توم . مرتديا الجينز وقميصا رمادى اللون . وهو يميل نحوه . كان المدخل الأمامى مضاءً بنور قوى باهت . رمق كلاى ساعته وهو يرفع ساقيه عن الأريكة ، وتبين له أنها السادسة وعشرون دقيقة .

قال توم : " لابد أن ترى هذا " . بدا شاحباً . قلقاً . أشهب على جانبى شاربه . كان طرف قميصه غير مهندم وشعره أشعث بعض الشيء .

تطلع كلاى إلى شارع سالم . ليرى كلباً يقبض بفمه على شيء ما وهو يخب الخطا بين سيارتين معطلتين على بعد نصف بناية منهما إلى الغرب ، ولم ير شيئاً آخر يتحرك . كان يشم عبق دخان حريق فى الهواء وافترض أنه آتٍ إما من بوسطن أو ريفيرى . ربما كان آتيا من الجهتين . إلا أنه حدس على الأقل أن الرياح قد توقفت . فعاد لينظر إلى توم .

قال توم بصوت خفيض : " ليس هنا . بل فى الباحة الخلفية . فقد رأيت وأنا بالمطبخ لأعد بعض القهوة وقبل أن أتذكر أن البن قد نفد ، و ... قد لا يكون فى الأمر شيء ... لكننى لم أحب ما رأيته " .

كان كلاى يبحث أسفل الغطاء عن جوربه : " هل لا تزال آليس نائمة ؟ "

" بلى ، وهذا جيد . لا تهتم بأمر الجورب والحذاء . فنحن لسنا ذاهبين لتناول العشاء فى الريتز . هيا بنا " .

تبع توم الذى كان يرتدى خفا مريحا عبر الردهة وحتى المطبخ . كان هناك على المنضدة كأس بقى بها بعض الشاى المثلج .

قال توم : " لا يمكننى أن أفعل أى شيء فى يومى من دون تناول بعض الكافيين فى الصباح . لذا فقد صببت لنفسى كأسا من هذا فتناول بعضا منه فهو لا يزال جيدا باردا وقد أزحت الستارة فوق الحوض حتى ألقى نظرة إلى الحديقة . لا لسبب معين ، فقط كى أرى العالم الخارجي . وعندها رأيت ... انظر أنت بنفسك " .

تطلع كلاى عبر النافذة فوق الحوض . كانت هناك باحة من القرميد الصغير لطيف اللون خلف المنزل وبها شواية غاز . وخلف الباحة كانت الساحة الخلفية لمنزل توم . يغطى العشب نصفها وحديقة تغطى النصف الآخر . وخلفها سور خشبى به بوابة . كانت البوابة مفتوحة . وكان من الواضح أن أحدهم قد أطلق على المزلاج النار لأنه قد صار الآن معلقا بالكاد ، ويبدو لكلاى كمعصم مكسور . خطر لكلاى أنه قد كان بوسعه أن يعد القهوة على شواية الغاز . لولا ذلك الرجل القابع فى حديقته إلى جوار ما كانت عربة يد أنيقة ، وهو يأكل محتويات قرعة عسل ويلفظ حبوبها . كان يرتدى رداء ميكانيكى سيارات وقبعة بها بقع من الشحوم يبدو عليها حرف بى بالكاد . وعلى يسار صدر ردائه انطبع اسمه ... " جورج " . أمكن لكلاى أن يسمع الصوت الذى يحدثه الرجل فى كل مرة يدس وجهه فى قرعة العسل .

قال كلاى بنبرة خفيضة : " تباً ... إنه واحد منهم " .

" أجل . وطالما هناك واحد فهناك المزيد " .

" هل كسر البوابة حتى يستطيع الدخول ؟ "

" بالطبع . أنا لم أره يفعلها . إلا أنها كانت مغلقة حينما غادرت المنزل بالأمس . وهذا ما أنا متيقن منه . كما أن علاقتى مقطوعة مع " سكوتونى " ذلك الذى يسكن فى الجهة المقابلة لمنزلى . فلا حاجة له " بأشخاص من أمثالى " كما قال لى عدة مرات " . توقف قبل أن يتابع بصوت خفيض . كان يتحدث بهدوء . وأصبح على كلاى الآن أن يقترب منه أكثر حتى يسمعه . " أتعرف ما الجنون فى الأمر؟ إننى أعرف هذا الرجل . فهو يعمل بمحطة تيكساكو التابعة لسونى . بوسط البلدة . وهى ليست سوى محطة غاز لا تزال تقوم بالإصلاحات كذلك . أو هذا ما كان يفعله بالطبع . وقد حدث أن استبدل لى خرطوم الرادياتور ذات مرة . وقد حكا لى كيف أنه وأخاه قد قاما برحلة إلى ستاد اليانكى العام الماضى . ورأى الفريق وهو ينتصر . بدا لى أنه شخص لطيف . فانظر الآن إليه! وهو قابع فى حديقتى يلتهم قرعة نيئة ! " .

سألتهما آليس من خلفهما : " ما الذى يجرى يا رفاق ؟ " .

التفت توم إليها وعلى وجهه خيبة أمل : " لا أريدك أن ترى هذا " .

فقال كلاى : " لا جدوى من هذا ... فعليها أن تراه " .

ابتسم لآليس ، ووجد أنه لم يكن من الصعب عليه أن يبتسم . كانت البيجامة التى ترتديها كما تخيلها ، إلا أنها كانت زرقاء اللون ، وقد بدت شديدة البهاء وهى ترتديها ، وقدماها حافيتان وقد شمرت ساقى البيجاما لأعلى وشعرها أشعث بسبب النوم . وبغض النظر عن كوابيسها ، فقد بدت مرتاحة بشكل أكبر من توم . كان بوسع كلاى أن يراهن على أنها كانت أكثر راحة منه هو شخصياً .

قال : " ليس بحطام سيارة أو شيء آخر . بل مجرد شخص يتناول قرعة عسل فى حديقة توم " .

وقفت بينهما . وهى تضع يديها على حافة الحوض وتقف على أصابعها حتى تنظر إلى الخارج . لامس ذراعها ذراع كلاى . فشعر بدفء النوم الذى تشعه بشرتها . أخذت تنظر لفترة طويلة . ثم التفتت إلى توم .

قالت وكلاى لا يعلم إن كانت تتهممها أم تسخر منهما : " لقد قلتم بأنهم قد انتحروا " . خطر له أنها ربما لا تعلم هى نفسها .

رد توم فى تسليم : " لم أقل بأن هذا أكيد " .

عادت لتنظر من جديد وهى تقول : " بل لقد كنت متأكداً تماماً من هذا " . ورأى كلاى أنها لم تكن فزعة . بل بدت له رابطة الجأش بدرجة ملحوظة فى البيجاما الواسعة . " أوه ... أيها الرفاق ؟ "

ردا فى آن واحد : " ما الأمر ؟ "

" انظرا إلى العربة الصغيرة التى يجلس إلى جوارها . انظرا إلى الإطار " .

كان كلاى قد رأى بالفعل ما تتحدث عنه . قطع قشر القرعة . ومحتواها . وبذورها .

قالت : " لقد هشم قرعة العسل على الإطار حتى يفتحها ويأكل ما بداخلها . وأعتقد أنه واحد منهم " .

قال كلاى : " إنه بالفعل واحد منهم " . كان جورج الميكانيكي جالساً فى الحديقة مباعداً بين ساقيه . وقد بدا وكأنما يبول على نفسه .

" ... لكنه استخدم الإطار كأداة . وهو ما لا يمكن أن يصدر عن مجنون " .

رد توم : " لقد استخدم أحدهم بالأمس سكيناً . وآخر كان يقبض على هوائيى سيارة " .

" أجل ، إلا أن هذا يبدو لى مختلفاً ... نوعاً ما " .

www.rewity.com ^RAYAHEEN^

عاد توم ليرمق هذا الدخيل وهو يقول : " تقصدين أنه مسالم ؟ ما كان لى أن أخرج إلى هناك حتى أتيقن من هذا الأمر " .

" كلا . لم أقصد هذا . لم أقصد أنه مسالم . ولكننى عاجزة عن شرح ما أعنيه " .

اعتقد كلاى أنه يعلم ما تتحدث عنه . فلقد كان العدوان الذى شهدوا عليه بالأمس أعمى . يتعدى على أى شيء يقع فى طريقه . عشوائياً . كان هناك بالفعل رجل الأعمال ذو السكين والشاب مفتول العضلات الذى يطوح بهوائيى السيارة وهو يركض . ولكن هناك كذلك ذلك الرجل بالمتنزه والذى مزق أذن الكلب بأسنانه . وقد استخدمت بيكسى الشقراء أسنانها كذلك . أما هذا فمختلف كثيراً عنهم . لا لأنه يأكل بدلاً من أن يقتل . ولكن كلاى وجد نفسه عاجزًا مثل آليس عن أن يضع يده على هذا الاختلاف .

هنا صاحت آليس : " يا إلهى ... هناك اثنان آخران " .

دلفت امرأة عبر البوابة المفتوحة . كانت فى الأربعين من عمرها . ترتدى حلة رمادية متسخة ومعها رجل عجوز يرتدى سروالاً رياضيا قصيرا وقميصًا قطنيًا . كانت المرأة ترتدى قميصاً أخضر ممزقاً . وقد كشف عن حمالة صدر خضراء باهتة . كان العجوز يعرج . وهو يطوح بمرفقه مع كل خطوة يخطوها حتى يحفظ اتزانه . كانت ساقه اليسرى الهزيلة مخضبة بالدماء ، وقدمه اليسرى حافية إلا من بقايا جورب رياضى متسخ بالأتربة والدماء . كان شعره الأشيب الطويل يحيط برأسه كالقلنسوة . بينما كانت المرأة تهذى بكلمة متكررة لا معنى لها . وهى تمسح بعينيها الفناء والحديقة . نظرت إلى جورج آكل القرعة بإهمال وكأنه لا يستحق . ثم تجاوزته نحو ثمرات الخيار التى بقيت فى الحديقة . وعندها انحنت وقطعت واحدة . وبدأت

تأكلها . أما العجوز فقد توجه نحو حافة الحديقة ومن ثم اكتفى بالوقوف هناك وكأنه إنسان آلى قد فرغت بطاريته . كان يرتدى نظارة مذهبة خمن كلاى أنها نظارة قراءة تلمع فى ضوء الصباح . بدا لكلاى كشخص كان بالغ الذكاء وتحول فجأة إلى منتهى البلاهة .

تقارب الثلاثة فى المطبخ من بعضهما البعض . وهم يحدقون عبر النافذة . ويحاولون كتم أنفاسهم .

استقرت نظرات العجوز على جورج . والذى ألقى بعيداً قطعة من قشرة قرعة العسل . وتفحص بقيتها . ثم عاد ليدس وجهه فيها مكملاً إفطاره . وبعيداً عن أنه كان مسالماً مع القادمين الجدد . إلا أنه قد بدا غير متنبه لهما إطلاقاً .

عرج العجوز إلى الأمام . ثم انحنى . وبدأ يجذب قرعة عسل فى حجم كرة القدم . كان على بعد أقل من ثلاث خطوات عن جورج . تذكر كلاى تلك المعركة عند مدخل نفق المترو . فحبس أنفاسه ترقباً .

شعر بآليس تتشبث بذراعه . وقد فارقها ذلك الدفء . سألته بصوت خفيض : " ما الذى سيفعله ؟ "

اكتفى كلاى بهز رأسه فى حيرة .

حاول العجوز أن يقضم القرعة إلا أنه فشل وارتطمت هى بأنفه . كان المنظر ليبدو مضحكاً فى ظروف غير هذه . عاد العجوز ليعدل من وضع نظارته . كانت لمحة طبيعية جداً حتى أن كلاى قد شعر للحظة بأنه هو المجنون ولا أحد غيره .

صاحت المرأة صيحة غير مفهومة وهى تلقى بثمرة الخيار نصف المأكولة بعيداً . لمحت بضع ثمار من الطماطم فزحفت نحوها وشعرها يغطى وجهها . كانت مؤخرة سروالها متسخة بدرجة شديدة .

لمح العجوز العربة . فأخذ ثمرة القرع معه نحوها . وحينها

رأى جورج الجالس إلى جوارها . نظر إليه في ترقب . أشار جورج بيده الملطخة بالعصارة البرتقالية نحو الإطار ، إشارة رآها كلاى من قبل آلاف المرات .

تمتم توم : " تبا ... إنه يشير إليه بأن يتفضل " .

جثا العجوز على ركبتيه فوق أرض الحديقة . في حركة كان من الواضح أنها سببت له ألما شديداً . رفع رأسه نحو السماء المنيرة ، وتمتم كلمات ما . ثم رفع الثمرة فوق الإطار . أخذ يحدد هدفه للحظات ، وذراعاه ترتجفان ، ثم هوى بها عليه ، لتنكسر مفتوحة . انشطرت إلى قسمين . أما الذى حدث بعد ذلك فقد حدث في سرعة . فقد أسقط جورج ثمرته التى كادت تفرغ في حجره ، واندفع نحو العجوز ليمسك رأسه بكلتا يديه ثم يلوى عنقه . سمعوا صوت قرقعة عنق العجوز المكسورة بالرغم من زجاج النافذة . ارتجف جسد العجوز للحظة قبل أن يهمد تماما . تركه جورج . همت آليس بالصراخ إلا أن توم غطى فمها بيده . كانت عيناها متسعتين في ارتياع . بينما التقط جورج الثمرة الجديدة بكل هدوء وأخذ في التهامها .

أخذت المرأة ممزقة القميص تنظر حولها للحظات في لا مبالاة ، ثم التهمت ثمرة طماطم أخرى . كانت العصارة الحمراء تنساب من فمها وحتى عنقها المتسخ . جلست وجورج في حديقة توم ، يتناولان الخضراوات . ولسبب لا يدريه كلاى . فقد تذكر حينها واحدة من لوحاته المفضلة : والتى أسماها " مملكة السلام " .

لم يدرك أنه قد نطق باسمها بصوت عال إلا حينما نظر إليه توم بائسا وهو يقول : " ليس بعد الآن " .

١٣

كان ثلاثتهم يقفون عند نافذة المطبخ بعدها بخمس دقائق حينما اندلع صوت جرس إنذار على البعد . كان الصوت نفسه مبحوحا متعبا ، كما لو أنه سيصمت قريباً .

سأل كلاى : " أيدرى أحدكما سبب هذا الصوت؟ " . وفي الحديقة كان جورج قد تخلى عن ثمار القرع العسلى ، واستخرج من الأرض ثمرة بطاطس كبيرة . كان قد اقترب من المرأة ، إلا أنه لم يبد اهتماما بوجودها . حتى الآن على الأقل .

قال توم : " أخمن أنه مولد الطاقة عند مركز سيفواى بوسط المدينة وقد فرغ . وفي حال حدوث هذا يتم تشغيل جرس الإنذار الذى يعمل بالبطارية . إلا أن هذا ليس سوى تخمين . فحسب علمي أن هناك بنكا ما ... " .

صاحت آليس : " انظرا ! " .

توقفت المرأة عن تناول ثمرة الطماطم . ثم نهضت وسارت نحو الجانب الشرقي من منزل توم . نهض جورج بدوره وهي تمر ، وكلاى يؤمن بأنه يقصد قتلها كما قتل العجوز . جفل في ترقب ورأى توم يقترب من آليس ، حتى يبتعد بها عن المنظر . إلا أن جورج اكتفى بأن تبع المرأة ، ليختفيا حول ركن المنزل من خلفهما .

استدارت آليس وهرعت نحو باب المطبخ .

ناداها توم بصوت خفيض وهو يتبعها : " لا تدعيهما يرونك! " .

" لا تقلق " .

تبعهما كلاى وهو في غاية القلق .

وصلا إلى باب غرفة الطعام في الوقت المناسب ليروا المرأة رثة الثياب وجورج ذا الملابس المزرية وهما يجتازان غرفة

الطعام عبر الستارة التى كانت مسدلة غير أنها لم تكن مربوطة . لم ينظر أى منهما نحو المنزل ، وصار جورج الآن قريبا جدا من المرأة لدرجة يسعه معها أن يغرس أسنانه فى عنقها . توجهت آليس يتبعها توم وكلاى نحو الردهة المفضية إلى مكتب توم الصغير . كانت الستائر هنا مغلقة ، إلا أن كلاى رأى ظلال المجنونين بالخارج وهى تمرق وراءها . تحولت آليس عبر الردهة نحو باب مدخل المنزل والذى كان مفتوحا . كان نصف الغطاء على الأريكة والنصف الآخر على الأرض ، كما تركه كلاى . كانت أشعة الشمس المشرقة تغطى سقيفة مدخل المنزل .

ناداها كلاى : " انتبهى لنفسك ، آليس . انـ ... " .

إلا أنها توقفت . واكتفت بالنظر . ووقف توم إلى جوارها ، وهو يكاد يقاربها طولا . كانا أقرب إلى أخ وأخت . ولم يحرصا على تفادى أن يراهما المجنونان .

قال توم : " تباً " . بدا وكأنما قد طار عقله . وإلى جواره بدأت آليس تبكى . كان أشبه بنحيب طفل أنهكه البكاء . طفل اعتاد تلقى العقاب .

لحق بهما كلاى . كانت المرأة تسير عبر العشب أمام منزل توم . وجورج لا يزال خلفها . يتبعها خطوة بخطوة . وحينما اقتربا من عتبات المدخل تحول ليسير على يسارها كتفا بكتف .

كان شارع سالم يعج بالمجانين .

قدر كلاى عددهم بما يزيد على الألف . وعندها تغلبت عليه عين الفنان وأدرك أن تقديراته هذه مبالغ فيها . وسببها الدهشة من رؤية أحد من الأصل فى شارع توقعه خاليا ، ومن ثم وجد نفسه أمام هذا الجمع كله . لا يمكنه أن يخطئ هذه الوجوه الخاوية ، والأعين التى تتعدى بنظراتها كل شيء . والملابس المتسخة الملطخة بالدماء (بل هناك من لا يرتدى ملابس من

الأصل) . والصيحات والصرخات التى تنطلق بين الآن والآخر . هناك رجل لا يرتدى سوى قطعتين داخليتين . ولا يتوقف عن توجيه التحية إلى مجهول بشكل متكرر ؛ وامرأة شديدة البدانة انشطرت شفتها السفلى إلى شطرين ، لتكشف عن أسنانها ؛ والفتى الطويل الذى يرتدى سروالاً قصيرًا من الجينز ويسير عبر الشارع وهو يحمل ما بدا أنه إطار معدنى ملطخ بالدماء ؛ ورجل هندى أو باكستانى مر بجوار منزل توم وهو يلوى فكه من جانب لآخر وأسنانه تصطك باستمرار ؛ وهناك صبى . . . يا ربى . . . صبى فى سن جونى يسير من دون أن يتبدى عليه الألم رغم أن إحدى ذراعيه كانت متدلية أسفل كتفه المكسورة ؛ وفتاة جميلة ترتدى تنورة قصيرة وقميصًا قطنيًا بدا له أنها تلتهم غرابا . كان بعضهم يتأوه والبعض الآخر يصدر أصواتا يمكن أن تكون كلمات . وجميعهم يسير نحو الشرق . لم يدر كلاى إن كانوا منجذبين إلى صوت أجراس الإنذار أم إلى رائحة الطعام . إلا أنهم كانوا يسيرون جميعا نحو مركز مالدين .

علق توم قائلا : " يا إلهى ... إنهم أشبه بالزومبى " .

لم يهتم كلاى بالرد . فهؤلاء ليسوا زومبى بمعنى الكلمة . إلا أن توم قدم وصفا قريبا جدا لهم . لو أن أحدهم نظر نحونا . ورآنا وقرر أن يتوجه نحونا . فسوف ينتهى أمرنا . ولن يكون أمامنا مفر . حتى ولو اختبأنا فى القبو . ولن تكون هناك فرصة لجلب تلك الأسلحة من ذاك المنزل .

ارتعب حينما تبين له أن زوجته وابنه يتعاملان الآن مع أمثال هذه المخلوقات . إلا أن هذه ليست قصة مصورة وليس هو بطلها : فلا شيء بيده . قد يكون ثلاثتهم آمنين فى المنزل ، ولكن المستقبل القريب ينبئهم بألا مفر لهم من كل هذا .

١٤

قالت آليس وقد مسحت الدموع عن خدها براحة يدها : " إنهم أشبه بالطيور .. .. سرب من الطيور " .

فهم كلاى ما تعنيه فاحتضنها مطمئناً . كانت قد وضعت يدها على أمر خطر له أول مرة وهو يراقب جورج يتبع المرأة بدلاً من أن يقتلها ، كما قتل ذلك العجوز . فمع أنه لا شك فى جنون الاثنين ، إلا أنه كان من الواضح أنهما ملتزمان باتفاق خفى .

أما توم فقال : " لم أفهم ما تعنيه " .

" لابد أنك لم تشاهد فيلم مسيرة البطريق "

" بل لقد شاهدته . فحينما أريد أن أرى شخصاً يتمايل فى حُلته التوكسيدو ، فإننى أذهب إلى مطعم فرنسى " .

سأله كلاى : " ألم تلاحظ من قبل الطريقة التى تتحرك بها الطيور . وخاصة فى الربيع والخريف ؟ ... لابد أنك قد لاحظتها . إنهم يحتشدون على نفس الشجرة ، أو فوق نفس أسلاك الهاتف ... " .

قالت آليس : " أحياناً ما يكونون بالكثرة التى لا تحتملها الشجرة . وعندها يطيرون فى الآن نفسه . يقول والدى إنه لابد أن يكون لهم قائد ، إلا أن مدرس العلوم السيد سوليفان بمدرستنا المتوسطة قال لنا بأنهم يتبعون سلوك الجماعة ، كالنمل الخارج من حفرة أو النحل من خليته " .

قال كلاى : " يتحرك السرب من اليمين إلى اليسار . جميعاً وفى ذات الوقت . ولا يحدث أن يصطدم طائر بآخر . وأحياناً ما يغطون السماء بكثرتهم محدثين صخباً يدفعك إلى الجنون " ، توقف لحظة قبل أن يضيف : " هذا ما كنت أراه فى البلدة التى أعيش فيها " . ثم صمت قبل أن يستطرد : " توم ... هل

تعرفت على أى من هؤلاء البشر؟ " .

" بعضاً منهم . فهذا هو السيد " بوتو وامى " ، من المخبز " . كان يشير نحو الهندى الذى يهز رأسه . " وهذه الفتاة الجميلة تعمل فى البنك . وهل تذكر سكوتونى الذى حدثتك عنه ، ذلك الذى يعيش فى المنزل المقابل لى ؟ " .

أومأ كلاى برأسه بالإيجاب .

وسرعان ما تغير وجه توم وهو يشير إلى امرأة حامل لا ترتدى سوى جلباب به بقع ببقايا الطعام . وشعرها الأشقر يحيط بوجهها المتلئ . وأنفها متورم . قال : " هذه هى زوجة ابنه . جودى . لقد اعتادت أن تكون لطيفة معى " . ثم أضاف بنبرة جافة محايدة : " إن هذا لينفطر له قلبى " .

أتاهم صوت عيار نارى من جهة مركز المدينة . صرخت آليس . ولم يضطر توم هذه المرة لأن يغطى فمها ؛ فقد غطته بنفسها . على أن أحداً من الحشد الذى فى الشارع قد نظر نحو مصدر الصوت . بل إن ما بدا لكلاى أنه صوت عيار نارى لم يزعجهم من الأصل . بل واصلوا السير وبنفس الإيقاع . انتظر كلاى سماع صوت عيار نارى آخر . إلا أنه سمع بدلا من ذلك صرخة قصيرة وكأن هناك ما قطعها .

بقى الثلاثة يراقبون وهم يقفون فى الظلال خلف السقيفة مباشرة . وفى صمت . كان كل من مر بهم يتجه شرقاً ، ومع أنهم لم يسيروا فى انتظام معين ، إلا أنه كان من الواضح أنهم يتبعون منظومة ما . لم يلحظ كلاى هذا فى مجانين الهاتف أنفسهم ، والذين يعرجون ويترنحون ، ويهذون بكلمات غير مفهومة . بل من خلال انتظام ظلالهم الساقطة على الرصيف . تذكر حينها أفلام الحرب العالمية الثانية الوثائقية التى كان قد رآها ، حينما كانت موجات قاذفات القنابل تسرى عبر السماء . أحصى منهم مائتين وخمسين قبل أن يمل (رجالاً ، ونساء ،

ومراهقين وصبية من عمر جونى) عدد الأطفال يفوق بكثير العجائز ، مع أنه لم ير سوى البعض منهم أقل من عشر سنوات . لم يود أن يفكر فيما قد يكون قد حدث للفتية والصبية الذين لم يجدوا من يرعاهم حينما حدثت النبضة .

أو أولئك الذين كانوا تحت رعاية أناس معهم هواتف محمولة .

أما بالنسبة للأطفال ذوى الأعين الخاوية الذين أمكن أن يراهم ، فقد تساءل كلاى عن عدد من مروا به ممن ألحوا على آبائهم لشراء هواتف محمولة ذات نغمات خاصة فى العام الماضى ، تماما كما فعل جونى .

علق توم قائلاً : " عقل واحد ... هل تتصوران هذا ؟ "

قالت آليس : " أكاد أتصوره ... فهم بلا عقل من الأصل " .

قال كلاى : " إنها على حق " .

أخذ عدد المارين يقل (ما إن ترهم على هذا الوصف فلن تراهم فى صورة أخرى خلاف ذلك) إلا أنه لم ينته ، حتى بعد مضى نصف الساعة ؛ يمر ثلاثة رجال يسيرون جنباً لجنب يرتدى أحدهم قميصاً رياضياً ، وأحدهم فى بقايا بدلة ، والثالث تغطى الدماء أسفل وجهه المشوه ، ثم مر رجلان وامرأة ، بعدهم امرأة متوسطة السن تبدو أقرب إلى أمينة مكتبة هذا لو تجاهلت صدرها العارى وهى تسير مع فتاة خرقاء تبدو كأنها مساعدتها بالمكتبة . تمر برهة قبل أن يمر بهم عشرات آخرون ، يشكلون ما يشبه المربع المفرغ ، وكأنهم وحدة قتالية فى الحروب النابليونية . وبدأ كلاى يسمع على البعد أصواتًا قتالية وطلقات نارية متقطعة وعلى البعد كذلك ربما من بلدة ميدفورد المجاورة أو هنا فى مايدين هدير الأسلحة الآلية . وكذلك المزيد من الصرخات . معظمها من مسافة بعيدة ، إلا أن كلاى كان متيقناً من حقيقتها .

لابد أن هناك بعض العقلاء فى تلك البقاع ، بل العديد منهم ، ونجح بعضهم فى الحصول على السلاح . على أن بعضهم لم يكن حسن الحظ فيحتمى بمنزله وقت أن أشرقت الشمس وزحف المجانين مع شروقها . تذكر جورج الميكانيكى وهو يحطم عنق العجوز بيديه ، تلك الالتواءة السريعة ، وسقوط النظارة على الأرض حيث ستبقى هناك للأبد .

قالت آليس : " أود الذهاب إلى حجرة المعيشة وأن أجلس هناك . لم أعد أريد النظر إليهم بعد الآن . أو أن أستمع إلى أصواتهم ، فإنها تصيبنى بالغثيان " .

قال كلاى : " بالتأكيد . توم ، لمَ لا .. .. ؟ "

قاطعه توم قائلاً : " كلا . اذهبا أنتما . وسوف أبقى هنا لأراقب . أرى أن من اللازم أن يبقى واحد منا كى يراقب ، أليس كذلك ؟ " .

أومأ كلاى برأسه موافقاً .

" كما يمكنك أن تحل محلى بعد ساعة . ونتبادل نوبات المراقبة " .

" حسناً . اتفقنا " .

قال توم وهما يتوجهان عبر الردهة ، وذراع كلاى تحيط بكتفى آليس : " بقى شيء " .

التفتا إليه .

" أعتقد أن من اللازم علينا أن نحاول نيل أكبر قسط من الراحة . هذا إن كنا لا نزال عازمين على التوجه نحو الشمال " .

حدق فيه كلاى ليتأكد من أن توم جاد فى كلامه . بدا له كذلك ، لكن ...

" ألم تشاهد ما يحدث هنا ؟ ... ألم تسمع صوت الأعيرة النارية ؟ ... " ، لم يشأ أن ينطق بالصرخات مع وجود آليس

معهما ، مع أنه كان يدرك أنه قد فات أوان الحفاظ على أحاسيسها .

رد توم : " بالطبع ... لكن المجانين قد دخلوا البلدة الليلة الماضية . أليس كذلك ؟ "

لم ينبس أى منهما ببنت شفة . إلا أن آليس سرعان ما أخذت تصفق بيديها وقد فهمت مغزى كلامه . بينما ارتسمت ابتسامة على وجه كلاى . شعر بها جافة وغريبة على وجهه ، كما أن الأمل الذى صاحبها كان مؤلماً .

" أنت عبقرى ، توم " .

لم يبتسم توم ، لكنه قال : " لا تعولا على هذا كثيراً . فلم أكن أحقق نتائج جيدة فى اختبارات الذكاء " .

١٥

لاحظ كلاى أن آليس تتحسن وهو الأمر الجيد وهو يشاهدها تصعد الدرج لتبحث فى ملابس توم عما يناسبها كى ترتديه . جلس كلاى إلى الأريكة ، وهو يفكر فى شارون وجونى ، ويحاول أن يخمن ما قد يكونان فعلاه والمكان الذى يمكن أن يتوجها إليه . وهو يفترض دوماً أن الحظ الحسن لا يزال حليفاً لهما . غفا ليراهما بوضوح فى مدرسة شارون كينت الابتدائية . كانا مختبئين فى صالة الألعاب الرياضية ومعهما العشرات ، يتناولون شطائر من الكافتيريا ويشربون عبوات من الحليب . وهما ...

أيقظته آليس وهى تناديه من فوق الدرج . نظر إلى ساعته ووجد أنه قد نام على الأريكة قرابة عشرين دقيقة . كان اللعاب يسيل على خده .

اقترب من الدرج وهو يقول : " آليس ؟ هل كل شيء على ما

يرام ؟ " . كان توم يراقبهما .

" بلى . هلا أتيت لحظة ؟ "

نظر إلى توم هازاً كتفيه : " بالتأكيد " .

كانت آليس فى غرفة نوم الضيوف التى بدت كأنها لم تستقبل العديد من الضيوف من قبل . مع أن الوسادتين توحيان بأن توم قد قضى معظم الليلة هنا بصحبتها ، أما مظهر أغطية الفراش فأوحت بنوم متقطع . كانت قد وجدت سروالاً مناسباً كاكى اللون وقميصاً قطنياً طويل الأكمام . على الأرضية يقبع جهاز استيريو طالما كان كلاى يتوق إليه تماما كما تاق جونى إلى ذلك الهاتف المحمول أحمر اللون .

قالت : " لقد وجدته فى خزانة الملابس وبطارياته تبدو جديدة . فرأيت أن أديره بحثاً عن محطة إذاعة . إلا أننى خشيت هذا " .

نظر إلى الجهاز القابع على الأرضية الخشبية ، وخشى هو أيضاً أن يديره . فقد كان أشبه بمسدس محشو بالذخيرة . إلا أنه شعر بدافع لأن يمد يده ، ويضغط على الزر الخاص بموجة الـ F.M . شعر بأن لدى آليس نفس الحافز ، وهذا هو السبب فى أنها قد نادته . نفس الإحساس الذى يلح على المرء كى يستخدم مسدساً محشواً بالذخيرة .

باغتهما توم بقوله وهو عند الباب : " أهدتنى أختى هذا فى عيد ميلادى منذ عامين . وضعت به البطاريات فى يوليو الماضى وأخذته معى إلى الشاطئ . اعتدنا منذ أن كنت صبيا صغيراً أن نذهب إلى الشاطئ ونستمع إلى محطات الإذاعة . إلا أننى لم أمتلك من قبل واحدا بهذا الحجم " .

فقال كلاى : " ولا أنا أيضاً . إلا أننى حلمت بامتلاك واحد " .

" أخذته معى إلى شاطئ هامبتون فى نيو هامبشاير مع

العديد من أسطوانات أغانى " فان هالين " و " مادونا " ، إلا أننى لم أرتح لذلك الشاطئ . ولم أستخدمه منذئذ . وأنا أعتقد أن جميع المحطات الإذاعية قد تعطلت الآن . أليس كذلك ؟ "

قالت آليس : " أعتقد أن بعضها لا يزال يعمل " . كانت تعض على شفتها السفلى . حتى أن كلاى اعتقد أنها لو لم تتوقف عن هذا ، فسوف تدميها . " تلك المحطات التى تبث آليا . ومصدرها جميعا جهاز كمبيوتر عملاق فى كولورادو يرسلها إلى قمر صناعى ، وهو بدوره يعيد بثها . هذا ما عرفته من أصدقائى و ... " ، لعقت شفتها التى كانت تعض عليها قبل أن تضيف : " وهذه هى نفس الوسيلة التى يتم بها بث إشارات الهواتف المحمولة . أليس كذلك ؟ عن طريق الأقمار الصناعية " .

قال توم : " لا أعلم هذا . لكن أعتقد أن الإشارات طويلة المدى قد ... ومن المؤكد أن الإشارات عابرة المحيط تستخدمها ... وأعتقد أن بوسع عبقرى أن يخترق إشارة القمر الصناعى التى تبث إلى أبراج الميكروويف التى تراها ... تلك التى تعيد توزيع الإشارات ... " .

كان كلاى يعرف أن الأبراج التى يتحدث عنها ، تلك الهياكل من الصلب ، والتى تحمل أطباقا رمادية ملتصقة بها . وقد انتشرت فى بقاع عديدة خلال العشر سنوات الأخيرة .

قال توم : " لو أمكننا التقاط بث محطة محلية ، فربما تمكنا من معرفة الأخبار . أو إرشاد إلى ما يتوجب علينا أن نفعله ، أو نتوجه إليه .... " .

قالت آليس : " أجل ، ولكن ماذا لو كانت تلك الإشارة فى محطات الراديو كذلك ؟ هذا ما كنت أود أن أقوله . ماذا لو أنكم حولتم المؤشر إلى ما ... " ، لعقت شفتها ثم واصلت عضها وهى تضيف : " ما سمعته أمى ؟ وأبى ؟ هو أيضا ... أجل .. فقد امتلك هاتفا محمولا جديدا ، به أحدث التقنيات ! " . ضحكت

ضحكة تجمع بين الهيستيرية والحزن ، وياله من مزيج ! " ماذا لو أدرنا المؤشر إلى هذا الذى سمعوه ؟ كل هؤلاء ؟ هل تودان المخاطرة بذلك ؟ "

لم يقل توم شيئا فى بداية الأمر . ثم قال فى حذر وكأنما يختبر الفكرة : " بوسع أحدنا أن يقوم بهذه المخاطرة . بينما يغادر الباقيان إلى الخارج وينتظرن ... " .

قاطعه كلاى قائلا : " كلا " .

فقالت آليس : " كلا أرجوك . فأنا أريدكما معى . أنتما الاثنان " .

وقفوا حول الجهاز يحدقون فيه . وجد كلاى نفسه يتذكر روايات الخيال العلمى التى قرأها وهو مراهق أحيانا عند الشاطئ ، وهو يستمع إلى أغانى فرقة نيرفانا عبر المذياع . لقد وجد فى العديد منها أن العالم ينتهى . ومن ثم يعيد أبطال الرواية بناءه من جديد . بالطبع هناك مصاعب ومعوقات ، إلا أنهم يستخدمون الأدوات والتقنيات فى إعادة بنائه من جديد . إلا أنه لم يتذكر أن أبطال أية رواية قد وقفوا فى غرفة نوم محدقين فى جهاز استيريو ، فعاجلا أم آجلا سوف يأتى شخص ما فيلتقط أداة أو يدير مذياعا . فلابد أن يفعل هذا أحد .

أجل . لكن ليس هذا الصباح .

شعر بأنه يخون شيئا أكبر من أن يفهمه وهو يلتقط جهاز الاستيريو الخاص بتوم ، ويعيده إلى مكانه فى خزانة الملابس ، ويغلق بابها .

١٦

بعد قرابة الساعة ، بدأت الهجرة المنتظمة نحو الشرق فى الانحسار . كانت نوبة مراقبة كلاى . بينما كانت آليس فى

المطبخ ، تتناول إحدى الشطائر التي أحضروها معهم من بوسطن وقد نبهتهما إلى ضرورة الانتهاء من جميع الشطائر قبل أن يفكروا في تناول أي من المعلبات الموجودة في مخزن توم ، والذي كان بحجم غرفة . فلا أحد منهم يعلم متى سيتمكنون من تناول لحم طازج بعد الآن . بينما نام توم في حجرة المعيشة ، على الأريكة . وعلا صوت شخيره حتى وصل إلى مسامع كلاي .

انتبه إلى وجود بعض الأشخاص الذين يسيرون على عكس التيار المتجه شرقا ، ثم أحس بنوع من الإبطاء في الانتظام السائر بشارع سالم ، بدا غير ملحوظ حتى أن عقله نبه عينيه إلى أن هذا ليس سوى حدس . ففي البداية اعتبره خطأ سببه بعض الأشخاص كونهم أكثر تشوشاً من الباقين فاتجهوا غرباً بدلاً من الاتجاه شرقا . وعندها نظر إلى الظلال . فوجد أن النسق المنتظم الذي لاحظه في السابق قد بدأ يختل . حتى لم يعد هناك نسق من الأصل .

زاد الآن عدد من يتجهون غرباً . وبعضهم يأكل طعاماً نهبوه من متجر بقالة ، ربما متجر سايفواي الذي ذكره توم . كانت زوجة ابن السيد سكوتوني جودي تحمل مخروطاً ضخماً من آيس كريم الشوكولاتة . وقد لطخ صدر ردائها بالكامل ؛ وجعلتها الشوكولاتة التي تغطي وجهها أشبه بالسيدة بونز في ذلك الاستعراض الكوميدي . أما السيد " بوتو وامي " فلم يعد ذلك النباتي الذي كان يسير وهو ينهش في كتلة كبيرة من لحم الهامبرجر النيئ . بينما تبعه رجل بدين يرتدي حلة متسخة وهو يسير وبيديه فخذ ضأن شبه متجمدة . وحينما حاولت جودي سكوتوني أن تأخذها منه ، لطمها بها البدين على أم رأسها عدة مرات . فهوت على الأرض في صمت ، سقطت على بطنها الحامل ، فوق مخروط الآيس كريم الذي اندهس أسفلها .

كان هناك الآن الكثير من المشاحنات ، والمزيد من العنف .

إلا أنه لم يصل إلى الدموية التي كان عليها ظهيرة الأمس . ليس هنا على أية حال . ومضى وقت طويل منذ أن صمتت أصوات أجهزة الإنذار في مركز مالدين . وللأبد . وعلى البعد ، تواصلت أصوات الأعيرة النارية بين الحين والآخر ، إلا أنه لم يكن هناك شيء قريب منذ تلك الطلقة في وسط المدينة . راقب كلاي حتى يتبين إذا ما كان أحد من المجانين سيحاول أن يقتحم أيًا من المنازل . ولكن بالرغم من دخولهم إلى حدائق المنازل من حين لآخر ، إلا أنهم لم يبدوا أية نية لاقتحام تلك المنازل . فما اكتفوا بفعله هو الصعلكة ، مع محاولة اختطاف الطعام من بعضهم البعض . وأحياناً ما يصل الأمر إلى العراك . بينما رقد ثلاثة أو أربعة منهم السيدة سكوتوني إما أمواتاً أو فاقدي الوعي . وبقي معظم من مروا بمنزل توم في السابق بميدان البلدة . حتى أن كلاي ظن ساخراً أنه حفل من نوع ما . كان هذا غريباً ، بسبب ذلك الإحساس بوجود سرب ما . والذي بدأ يتفكك وينحسر .

بعد الظهر . وحينما بدأ النوم يداعبه بقوة ، توجه نحو المطبخ ووجد آليس تغفو على طاولة المطبخ تسند رأسها على ذراعيها . كانت يدها تقبض بعض الشيء على الحذاء الرياضي الصغير . وحينما أيقظها . نظرت إليه ناعسة وهي تحتضن الحذاء إلى صدرها ؛ وكأنما تخشى أن يحاول أخذه منها .

سألها عما إذا كان يمكنها أن تراقب من عند نهاية الردهة لبعض الوقت من دون أن تغفو ، أو أن يراها أحد . فوافقت . فحمل كلاي لها كرسياً . وقفت للحظة عند الباب المفضي إلى حجرة المعيشة . وقالت : " انظر لهذا " .

نظر من فوق كتفها ليرى القط رافي وقد نام على بطن توم . ووجد المنظر فريداً .

جلست حيث وضع لها الكرسي . إلى الداخل من الباب بما

www.rewity.com ^RAYAHEEN^

يكفى لكى لا يراها أحد . وبعد أن ألقت نظرة قالت : " لم يعودوا سربا بعد الآن . ما الذى حدث ؟ "

" لا أعرف "

" كم الساعة الآن ؟ "

رمق الساعة وهو يقول : " الثانية عشرة وعشرون دقيقة " .

" وكم كانت الساعة حينما لاحظنا أنهم يكونون سربًا ؟ "

" لا أعرف ، آليس " . كان يحاول أن يتحلى بالصبر معها فهو يجد صعوبة شديدة فى إبقاء عينيه مفتوحتين . " ربما كانت السادسة والنصف ؟ السابعة ؟ لا أعرف . وهل هذا يهم ؟ "

" لو أمكننا أن ندرس الأمر . فربما كانت هناك أهمية لهذا . ألا ترى ذلك ؟ "

أخبرها بأنه سيفكر فى هذا حينما ينال قسطًا من النوم .

" ساعتان . ثم أيقظينى أو أيقظى توم . أو قبل هذا إن حدث شيء ما " .

قالت فى رقة : " لن تزداد الأمور سوءًا عن هذا . اصعد إلى الطابق العلوى . فأنت متعب بالفعل " .

صعد إلى الطابق العلوى نحو غرفة نوم الضيوف . وخلع حذاءه . ورقد فوق الفراش . فكر لدقيقة فيما قالته له . لو أمكننا أن ندرس الأمر . ربما كانت لديها فكرة ما . ومع أن فرصة ذلك ضعيفة . لكن ربما ...

كانت حجرة جميلة . جميلة جدًا . مشمسة للغاية . ما إن ترقد فى حجرة كهذه حتى يسهل عليك أن تنسى أن هناك مذياعًا فى خزانة الملابس لم تجرؤ على تشغيله . ولن يكون من السهل أن تنسى زوجتك . التى جافيتها ولكنك لا تزال تحبها . وقد تكون ميتة الآن وقد يكون ابنك الذى تعشقه تحول هو الآخر إلى مجنون . إلا أن للجسد أحكامه . أليس كذلك ؟

وإذا ما كانت هناك فسحة من الوقت لبعض من النوم . فهذه هى . سكن ما بداخل كلاى من فزع . وغط فى نوم عميق بمجرد أن أغلق عينيه .

١٧

كانت آليس هى من أيقظته هذه المرة . كان الحذاء الصغير المعلق فى رسغها الأيسر يتأرجح يمنة ويسرة وهى توقظه . كانت قد ربطته ربما ليصبح تعويذة لها . تغير النور الذى كان يملأ الحجرة . صار يتجه إلى الناحية الأخرى منها وقد أصبح أضعف . انقلب على جانبه ووجد أنه بحاجة للذهاب إلى الحمام . وهو ما ينم عن أنه قد نام لوقت طويل نسبيا . فجلس فى موضعه بسرعة وهو مندهش بل ملتاع حينما علم أن الساعة السادسة إلا الربع . كان قد نام لقرابة خمس ساعات . إلا أن الليلة الماضية لم تكن هى أول ليلة ينام فيها نوما متقطعًا ؛ فقد نام مسهدا الليلة السابقة عليها كذلك . فقد كانت أعصابه متوترة بسبب العرض الذى كان سيقدمه أمام أصحاب شركة دارك هورس للقصص المصورة .

سألها وهو يمسك برسغها : " هل كل شيء على ما يرام؟ لماذا تركتنى أنام كل هذا الوقت ؟ "

قالت : " لقد كنت بحاجة ماسة إلى النوم . وقد نام توم حتى الثانية ونمت أنا حتى الرابعة . وبعدها بقينا نراقب معا . تعال وانظر . فالمنظر فى غاية العجب " .

" هل انتظموا فى سرب من جديد ؟ "

أومأت برأسها قائلة : " إلا أنهم يتجهون فى الاتجاه المعاكس هذه المرة . وليس هذا كل شيء . تعال وانظر " .

أفرغ مثانته قبل أن يهرع هابطا الدرج . كانت آليس تقف

مع توم عند الباب بالمدخل وهما يحيطان خاصرة بعضهما البعض بذراعيهما . كانت السماء غائمة وقد امتلأت سقيفة توم بالظلال الآن . لم يعد هناك سوى بعض الأشخاص فى شارع سالم . وجميعهم يتجهون غربا ، ليس ركضاً ولكن فى خطوات سريعة منتظمة . مرت جماعة من أربعة أشخاص فى الشارع ذاته ، مارين فوق بعض الجثث وركام من بقايا الطعام ، اشتمل على فخذ ضأن ، لم يعد به سوى العظم ، وعدد كبير من الأكياس الورقية وأكياس السوليفان المزقة ، وثمار الفاكهة والخضراوات المتناثرة . وخلفهم أتت جماعة من ستة أشخاص ، ومنهم من يسير فوق الرصيف . لم ينظروا إلى بعضهم البعض إلا أنهم كانوا يسيرون معا بشكل منظم حتى أنهم حينما مروا بمنزل توم مروا وكأنهم رجل واحد ، وتبين لكلاى أنها مشية عسكرية تماما . بعدهم مر شاب ربما كان فى الرابعة عشرة من عمره ، وهو يعرج ، ويهمهم بأصوات غير مفهومة ، وهو يحاول أن يلحق بهم .

قال توم : " لقد تركوا وراءهم الأموات وفاقدى الوعى ، إلا أنهم ساعدوا حقا شخصين كانا فى حالة هياج " .

أخذ كلاى يبحث بعينيه عن المرأة الحامل فلم يجدها .

" وماذا عن السيدة سكوتوني ؟ "

رد توم : " كانت أحد هذين الشخصين اللذين تم مساعدتهما " .

" إذن فهل بدأوا التصرف بشكل آدمى مرة أخرى ؟ " .

فقالت آليس : " لا تأخذ عنهم هذه الفكرة ، فواحد من الرجال الذين حاولوا مساعدته لم يكن يستطيع المشى ، وبعد أن سقط أرضا عدة مرات ، أصاب التعب أحد الذين كانوا يحملونه و ... " .

أكمل توم كلامها قائلاً : " ... وقتله . لا بيديه ، مثل

الشخص الذى فعل ذلك فى الحديقة . بل بأسنانه . مزق رقبته بأسنانه " .

قالت آليس : " رأيت ما سيحدث فأشحت بوجهى بعيداً ، إلا أننى سمعته . لقد ... كان يئن " .

فقال كلاى وهو يضغط على ذراعها فى رقة : " اهد ... اهدئى " .

يكاد الشارع يكون خاوياً الآن . ولحق بمن مضى اثنان كانا يعرجان ، ومع أنهما كانا يسيران جنبا لجنب نوعاً ما ، إلا أنهما كانا يعرجان بشدة تجعل من الصعوبة الإحساس بوحدة مشيتهما .

سأل كلاى : " إلى أين هم ذاهبون ؟ "

قال توم بنبرة مشدوهة : " تعتقد آليس أنهم ربما كانوا متجهين إلى الداخل . قبل أن يحل الظلام . وربما كانت على حق " .

" إلى أين ؟ إلى أين يذهبون ؟ هل رأيتما أياً منهم يدلفون إلى المنازل ؟ "

ردا معاً : " كلا " .

قالت آليس : " لم يعودوا كلهم . لم يصل من عادوا إلى عدد من كانوا قد ذهبوا شرقا هذا الصباح . لذا فهناك الكثير ممن لا يزالون عند مركز مالدين ، أو ما وراءه . وقد احتشدوا حول المبانى العامة ، مثل صالات الألعاب الرياضية بالمدارس ... " .

لم يرتح كلاى لذكر صالات الألعاب الرياضية بالمدارس هذه .

سألت : " هل شاهدت فيلم صحوة الموتى ؟ " .

قال كلاى : " بلى . هل تقولين بأن هناك من سمح لك بدخول دار سينما كى تشاهديه وأنت فى هذه السن ؟ "

نظرت إليه وكأنه معتوه أو عجوز . " لدى إحدى صديقاتى

جهاز دى فى دى . شاهدناه حينما كنا فى الصف الثامن " . كانت نبرتها حالمة وهى تضيف : " فى ذلك الفيلم ، كان جميع الموتى ـ ليسوا كلهم فى الحقيقة بل معظمهم ـ قد توجهوا إلى المركز التجارى حينما استيقظوا " .

تأملها توم ماكورت وعيناه جاحظتان من الدهشة ، ثم اندفع ضاحكاً . لم تكن ضحكة قصيرة ، بل كانت سلسلة من القهقهات القوية لدرجة أنه اضطر لأن يستند بجسده إلى الجدار . وظن كلاى أن من الحكمة أن يغلق الباب بين الردهة والسقيفة . لم يكن هناك ما يدل على مدى قدرة تلك الكائنات التى فى الشارع على سمعهم ؛ إلا أن كل ما كان يفكر فيه هذه اللحظة أن حاسة السمع لدى الراوى المجنون " بو " فى تلك الرواية " لإدجار آلان " كانت حادة .

قالت آليس وهى تضع يديها على خاصرتها : " لكن هذا ما فعلوه " . كان الحذاء الصغير يتأرجح . " واتجهوا إلى المركز التجارى مباشرة " . زادت قهقهات توم . حتى أنه بدأ يجثو على ركبتيه . وهو يخفق بيديه على قميصه .

قال وسط أنفاسه اللاهثة : " لقد ماتوا ... وعادوا ... ليتوجهوا إلى المركز التجارى . فهل يعرف ... " . انتابته نوبة ضحك أخرى . بدأت الدموع تنساب من عينيه فى قوة . إلا أنه سيطر على نفسه بما يكفى لأن يتم كلامه : " هل يعرف " جيرى فولويل " مركز نيو كاسل التجارى ؟ "

وجد كلاى نفسه يضحك بدوره . وكذلك آليس ، رغم أن كلاى ظن أنها ساخطة بعض الشيء لأنهما لم يقابلا فكرتها بالاهتمام ، أو حتى ببعض الدعابة لا بكل هذه السخرية . إلا أنها وجدت نفسها تضحك لضحكهما . حتى وهى ساخطة .

كانوا على وشك التوقف عن الضحك حينما قالت آليس : " لو كانوا يحتشدون للمبيت فى الصالات الرياضية والمراكز

التجارية ، فبوسع الناس أن يقتلوهم جميعاً بالأسلحة الآلية " .

توقف كلاى عن الضحك . ثم تبعه توم . ونظر إليها ، وهو يمسح الدموع التى استقرت عند شاربه الأنيق .

أومأت آليس برأسها . وقد احمر خداها من فرط الضحك . وكانت لا تزال مبتسمة . لقد بدت ولو لدقيقة غاية فى الجمال . " سيقتلونهم بالآلاف لو أنهم استقروا فى مكان واحد " .

قال توم : " يا ربى " . خلع نظارته وبدأ يمسح عدستيها وهو يضيف : " إنكِ لا تمزحين إذن " .

قالت آليس فى بساطة : " إنها مسألة حياة أو موت " . نظرت إلى الحذاء المربوط برسغها ، ثم إلى الرجلين . أطرقت برأسها من جديد . " علينا أن نحلل سلوكهم . وأن نحدد ما إذا كانوا يتجمعون فى أسراب أم لا . وموعد هذه التجمعات . وأماكن احتشادهم إن كانوا يحتشدون فى مكان . فلو أمكن تحليل سلوكهم .... " .

١٨

كان كلاى هو من أخرجهما من بوسطن . ولكن حينما غادر ثلاثتهم المنزل الكائن بشارع سالم بعد ذلك بقرابة أربع وعشرين ساعة ، صارت آليس ماكسويل ابنة الخمسة عشر ربيعاً هى القائدة بلا شك . وكلما فكر كلاى فى هذه الحقيقة قلت دهشته .

إن توم لا يفتقر إلى شجاعة المعارك ، إلا أنه لم ولن يكون قائداً . بينما يتحلى كلاى ببعض صفات الزعامة . إلا أن آليس تمتعت بميزة تفوق ذكائها ورغبتها فى البقاء : فقد عانت من مرارات الفقد وتجاوزتها وبدأت تواصل حياتها . فقد تغيرت شخصياتهم وهم يغادرون المنزل إلى الشارع . بدأ كلاى يعانى من اكتئاب فظيع ظن فى البداية أنه بسبب قراره ـ والذى لم يكن

منه بد ـ بأن يترك حقيبة رسوماته بالمنزل . على أنه ومع مرور ساعات الليل أدرك أن هذا كان نذيرا بما يمكن أن ينتظره حينما يصل إلى كينت بوند .

أما بالنسبة لتوم فقد كان الأمر أبسط . فكل ما ضايقه هو أنه اضطر لترك رافى .

قالت له آليس والتى بدت أشد حزماً الآن : " اترك الباب مواربا له . ومن المؤكد أنه سيكون بخير ، توم . سيجد الكثير من الطعام . سيمضى وقت طويل قبل أن تتضور القطط جوعاً ، أو أن يصل الأمر بمجانين الهاتف إلى التهام القطط " .

قال توم : " تباً . إنه سيموت " . كان يجلس إلى أريكة حجرة المعيشة تعساً وهو يرتدى معطف المطر والقبعة العريضة . كان رافى على حجره ، يصدر هريره بشكل ملول .

فقال كلاى : " كلها ستموت . تذكر جميع أنواع الكلاب كبيرها وصغيرها . جميعها ستموت " .

نظر إليهما وهو يكاد يبكى : " لقد كان معى منذ أمد بعيد . منذ أن كان هرا صغيراً . كما أننى أجد فيه الحظ الحسن . وتذكرا أنه قد أنقذ حياتى " .

قال كلاى : " نحن الآن حظك الحسن " . لم يشأ أن يذكره بأنه هو بدوره قد أنقذ حياته بالفعل ، إلا أن هذا كان صحيحًا . " أليس كذلك ، آليس ؟ " .

قالت : " بالطبع " . كان توم قد وجد لها ملابس مناسبة ، كما وضعت على ظهرها حقيبة ، ولم تضع بداخلها سوى بطاريات لأجل الكشافات ... وكان كلاى متأكداً من أنها قد وضعت بها أيضاً ذلك الحذاء الصغير الذى لم تعد تربطه إلى رسغها . كان كلاى بدوره يحمل بطاريات فى حقيبته ، وكذلك الفانوس . لم يكن معهم شيء آخر ، وهو ما اقترحته عليهما آليس . قالت بأنه لا سبب يدعوهم إلى حمل ما يمكنهم توفيره

خلال الطريق . " نحن الفرسان الثلاثة ، توم . الكل فى واحد وواحد للكل . لنتوجه الآن إلى منزل جارك ذاك ونرى إن كنا سنستطيع الحصول على بعض الأسلحة " .

قال وهو لا يزال يربت على القط : " اسمه نيكرسون " .

كانت من الذكاء بل والحنو الذى يمنعها من أن تسخر من رده السانج هذا . إلا أن كلاى أمكنه أن يتبين أن صبرها قد بدأ يفرغ . فقال : " هيا بنا . توم " .

" بالفعل . أعلم هذا " . هم بتنحية القط جانباً . إلا أنه رفعه وقبله بشدة بين أذنيه . بينما اكتفى رافى بتضييق عينيه . وضعه توم على الأريكة ونهض . " هناك طعام كاف لك بالمطبخ عند الموقد يا صغيرى . كما أن هناك وعاء كبيرًا مليئًا بالحليب . والباب الخلفى مفتوح . حاول أن تتذكر موقع المنزل . وربما ... ربما أعود فألقاك " .

قفز القط ليخرج من الغرفة نحو المطبخ رافعاً ذيله . ولم يلتفت خلفه بصورة بدت تليق بالقطط وعدم وفائها .

كانت حقيبة رسومات كلاى مسجاة عند جدار حجرة المعيشة وآثار طعنات السكين بادية فى منتصفها . رمقها وهو فى طريقه للخروج مقاوماً رغبةً فى لمسها . فكر لبرهة فى كل تلك الشخصيات الحبيسة داخلها ، والتى عاش معها طويلاً ، فى كل من مرسمه الصغير . ومن بعده مرسمه الكبير . وأخرجها من بنات أفكاره : " فلاك الساحر وجين النائمة وجاك فلاش وبويزون سالى . والمغامر الغامض بالطبع . كان يعتقد منذ يومين أنها ستصبح نجوماً . أما الآن فقد قطعت أوصالهم فجوة بوسط الحقيبة ولم يعد هناك من يؤنس وحدتهم سوى القط رافى .

تذكر جين النائمة وهى تغادر البلدة على متن روبى الآلى ... وتقول بصوت مرتعش .. وداعاً يا أولاد! رررربما أأأعود

www.rewity.com ^RAYAHEENA^

إليكم مممجدداً !

قالها بصوت عال وبنصف وعى : " وداعاً يا أولاد " . فها هى نهاية العالم . لو كان الأمر بيده لظل يودعهم طويلاً وبالأخص جين النائمة .

تبع كلاى كلا من آليس وتوم إلى الخارج . ونحو صوت مطر فصل الخريف الهادئ .

١٩

كان توم يرتدى قبعته . بينما كان برداء آليس قلنسوة . ووجد توم قبعة ريد سوكس ليرتديها كلاى حتى تبقى رأسه جافاً لبعض الوقت . إذا لم تزدد كثافة الأمطار التى بدأت تهطل بالفعل . ولو حدث هذا ... فلن تمثل القلنسوة مشكلة . كما بينت له آليس هذا . أمكنهم أن يروا عبر السقيفة بنايتين من بنايات شارع سالم . كان من المحال التأكد من هذا فى ظل العتمة . إلا أن الشارع بدا مهجوراً بالكامل فيما عدا بضعة أجساد وبقايا الطعام الذى خلفه المجانين على أرضيته .

حمل كل واحد منهم سكيناً وضعها فى غماد خاص صنعه كلاى لكل منهم . ولو كان توم محقاً فيما يخص آل نيكرسون . فإنهم سرعان ما سيمتلكون أسلحة كافية . كان هذا ما يأمله كلاى . فقد يتمكن من استخدام السكين التى جلبها معه من بوسطن مرة أخرى . إلا أنه لم يكن واثقا من قدرته على استخدامها فى القتل .

حملت آليس في يسراها كشافاً . وتأكدت من أن توم يحمل بجعبته واحداً أيضا . وهى تومئ برأسها قائلة : " حسناً ... هل ستقودنا إلى منزل نيكرسون ؟ "

" بالفعل " .

" ولو صادفنا أحداً هناك . فسنتوقف من فورنا . ونسلط كشافاتنا على وجهه " . نظرت إلى توم . ثم إلى كلاى وعلى محياها بعض القلق . لقد مروا بهذا الموقف من قبل . وخطر لكلاى أنها تصاب بنفس هذا التوتر مع كل موقف خطير تمر به ... وهذا الموقف واحد منها بالطبع .

رد توم : " بالطبع . سنقول مثلا : أسماؤنا هى توم وكلاى وآليس . ونحن طبيعيون . ما هى أسماؤكم ؟ " .

قال كلاى : " ولو كان معهم كشافات مثلنا . فيمكننا أن نفترض أن .. .. " .

قالت فى توتر وتذمر : " لا يمكننا افتراض أى شيء . كان والدى يقول إن افتراض الشيء يصيبك ويصيبنى بالحماقة . فهل فهمت ... "

بادر كلاى قائلاً : " لقد فهمت " .

مسحت آليس على عينيها . إما لتمسح عنهما المطر أو الدموع .

لم يكن كلاى متيقناً من هذا . وخطر له خاطر سريع مؤلم . عما إذا كان جونى فى مكان ما الآن يصرخ منادياً باسمه . كم تمنى كلاى هذا . تمنى لو أن ابنه لا يزال قادراً على البكاء . وعلى التذكر .

قالت آليس : " لو أمكنهم الرد . ولو أمكنهم نطق أسمائهم . فسنعلم أنهم طبيعيون . ومن الآمن التعامل معهم .. أليس هذا صحيحاً ؟ "

رد كلاى : " صحيح " .

ووافقه توم قائلاً فى شرود : " أجل " . كان ينظر إلى الشارع حيث لم يعد هناك بشر أو أنوار كشافات تنير . قريباً أو بعيداً .

رأوا على البعد وميض أعيرة نارية يأتى من مكان بعيد .